الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٩٧ — ١٣ مايو سنة ١٩٣٥ — السنة الثالثة

3 me Année, No. 97.

بدل الاشتراك عن سنة
ـصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-13-5-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٩٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ صفر سنة ١٣٥٤ — ١٣ مايو سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

بنــك مصر أيضا

٢

نعود إلى الحديث عن بنـك مصر مغتبطين كما يعود المطرب إلى تكرير لحنه، والمؤمن إلى ترديد صلاته! وهل كان بنك مصر وعيده فى الأسبوع المنصرم إلا لحناً شدا على كل لسان، ودعاء صعد من كل قلب؟ لقد جاء هذا العيد القومى كما توقعناه دليلاً على رشد هذه الأمة الكريمة: رَحَض عن سمعتها الأذى، ودَحضَ عن كفايتها التهم، وجلا عن نهضتها الشكوك، وبدّد عن مستقبلها السحب، وأعلن — فى شاى الحديقة، وعشاء الكونتننتال، ومهرجان القاهرة، وحفلات الأقاليم، بلسان طلعت حرب باشا مدير البنك، وأحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية، والسّر ادوارد كوك عميد سياسة الاقتصاد الانجليزية، والمسيو هنرى نوس ممثل رءوس الأموال الأجنبية — أن مصر التى غلّها العجز الاجتماعى حيناً من الدهر عن استعمال حقها واستغلال خيرها واستثمار غناها، قد أتاح لها بنك مصر وشركاته أن تشعر بالقوة التى كمنت فيها، وتفطن إلى القدرة التى ذهلت عنها؛

فهرس العـــدد

وتخرج من ذلة اليُتم والعُدم والقصور إلى عزة الرشد والوُجْد والأهلية

ثم كانت الأيام الثلاثة التى حفلت بعيد بنك مصر مظاهرة قومية موفقة ، شارك فيها قصر الملك ، ودار المندوب ، وجميع الأحزاب ، وكافة الطبقات ، وعامة الشعب ، فى الساعة التى رجعت فيها السياسة المصرية إلى ذبذبتها الأولى : تتحرك ولا تسير ، وتتردد ولا تستقر ، وتتصرف ولا تملك . وكان ابتهاج الأمة بها ابتهاجاً بحقها الذى يتخلص من الباطل ، وفوزها الذى يتميز من الفشل ، ونصرها الذى يتبرأ من الهزيمة ! !

***

تستطيع أن تناقش وتعارض وتستريب إن زعم لك زاعم أن يقظتنا للعلم والأدب ، والحرية والسياسة ، بلغت الحس العالى المرهف ، ولكنك أمام الأرقام التى قدمها إليك بالقول طلعت حرب ، والمنتجات التى وضعها فى يديك بالفعل طلعت حرب ، والمؤسسات التى عرضها عليك بالسينما طلعت حرب ، تعتقد اعتقاداً رياضياً أن نهضتنا الاقتصادية يقين لا يخامره شك ، وواقع لا تزخرفه مبالغة . وإن فى تسميتنا هذه النهضة التى نهضها بنك مصر فخلّت عن الأمة حبوة العجز ، بالنهضة الاقتصادية ، تسمية لها بالوصف الأشهر والأثر الأغلب . أما الواقع فانها انتظمت مرافق البلد من كل نوع ، وتناولت أمور الناس من كل جهة : أجْدت على العلم ففتحت له أبواب العمل ؛ وعلى التعليم فمهدت له سبل التطبيق ؛ وعلى الأدب فاستعملت اللغة فى أعمال المال ، ونشرت الثقافة بتسهيل الطباعة ؛ وعلى الأخلاق فأحيت فى الرجال الثقة ، وقوّت فى الشباب الرجولة ؛ وعلى الاجتماع فوّقت الأمة شر العطلة المجرمة ، والأزمة المستحكمة ، باستخدامها الألوف المؤلفة من الموظفين والصناع والعمال فى شركات البنك وفروعه ؛ وعلى القومية فخلقت الروح الجماعية بانشائها الأعمال التى تقوم على رءوس المال ، وتوزع العمل ، وتساند القوى ، وتضامن الجماعة ؛ وعلى السياسة فكفكفت عنها شِرّة النفوذ المالى الأجنبى بمنازلته الجريئة فى ميادينه القوية الحصينة ؛ وعلى الاسلام ، فساعدت على إقامة ركن من أركانه ، وكشف الضر عن بيت الله ومنزل قرآنه ؛ وعلى وحدة العرب فوصلتها بأسباب التعاون ، ووثّقتها بسلاسل الذهب ؛ والاقتصاد اليوم وقبل اليوم كان دستور الحياة ، وعلة السعى لها ، وغاية الجهاد فيها ، فلا بدع إذا أثر فى كل شىء ، وعمل فى كل حركة ، وهاج فى كل ثورة ، وصاح فى كل نهضة

***

شهدت كثيراً من المؤتمرات والمظاهرات والاحتفالات فى أغراض شتى ، فكان شعورى الذى أجده فيها شعور الحالم الذى يتوهم الحقيقة ، والفاقد الذى ينشد الوجدان ، والآمل الذى يرجو الظفر ؛ ولكنى شهدت هذه المرة احتفالات قومى بعيد بنك مصر ، فكان الشعور الذى ملكنى وملك الناس شعور العالم الذى اطمأن إلى التجربة ، والواجد الذى اغتبط بالحصول ، والظافر الذى انتشى بالنصر ، والحى الذى استعز بالكرامة

وكنا نلحظ البشر الذى يجول فى المحيا الذى لا ينبسط ، والابتسام الذى يجرى على الشفة التى لا تَفْتَرّ ، فنتخيل فى وجه طلعت حرب وهو يَشعُّ بالاخلاص الساذج مستقبل بلادنا الذى يتهلل ، وأمل شبابنا الذى يبتسم

***

نضّر الله بالرضى والغبطة وجوه أولئك الأبرار المخلصين الذين شغفهم حب الخير ففكروا وأملوا ، ثم آمنوا وعملوا ، ثم استمسكوا برَوح الله وقوة الشعب على عصف الخطوب وإلحاح المكايد ، حتى استقر بهم الايمان على الفوز ، واستقام بهم الاخلاص على الطريقة ، فكانوا مثلاً للجهاد الصابر المثابر الذى يتلمس القوة من جوانب الضعف ، ويتطاب الكثرة من أشتات القلة ، ويخلق النجاح اليقين من أحاديث المنى ، ويرفع فى مُعترك الشُّبَه والظنون هذا الصرح الباذخ فيكون قاعدة للمصلح البانى ، ومنارة للمتخلف الوانى ، ومثابة للمتنكّب الشريد !

احمد حسن الزيات

٣ ـ الانتحار

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المسيَّب بنُ رافع : وكان الامامُ قد شَغَل خاطرَه بهذه القصة فأخذت تمدُّ مدَّها فى نفسه ، ومكّنت له من معانيها بمقدار ما مكن لها فى همه ، وتفتّق بها ذهنُه عن أساليبَ عجيبةٍ يتهيأ بعضُها من بعضٍ كما يلدُ المعنى المعنى . فلما قال الرجلان مقالها آنفاً وأجابهما بتلك الحكمة والموعظةِ الحسنة ، انقدح له من كلامهما وكلامه رأىٌ فقال :

يا أهلَ الكوفة : أنشُدكم اللهَ والاسلامَ ، أيُّما رجلٍ منكم ضاق بروحه يوماً فأراد إزهاقها إلا كشف لأهل المجلس نفسه وصَدَقنا عن أمره ؛ ولا يجِدَنَّ فى ذلك ثَلباً ولا عاباً ، فانما النكبةُ مذهبٌ من مذاهب القَدَر فى التعليم ؛ وقد يكونُ ابتداء المصيبة فى رجلٍ هو ابتداءَ الحكمة فيه لنفسه أو لغيره ؛ وما من حزينٍ إلا وهو يشعر فى بعض ساعات حزنه أنه قد غُيِّبت فيه أسرارٌ لم تكن فيه ، وهذا من إبانة الحقيقة عن نفسها وموضعها كما لألأ فى سيفٍ بريقُه

وعقلُ الهمِّ عقلٌ عظيم ، فلو قد أُريدَ استخراجُ علمٍ يعلّمُه الناسُ — من اللذات والنِّعم ، لكان من شرح هذا العلم فى الحمير والبغال والدوابِّ مالا يكون مثلُه ولا قرابةٌ فى العقلاء ، ولا تَبلغه القُوى الآدميةُ فى أهلها ؛ بَيدَ أنه لو أُريد علمٌ من البؤس والألم والحاجة لما وُجد شرحُهُ إلا فى الناس ثم لا يكون الخاصُّ منه إلا فى الخاصة منهم

وما بانَ أهلُ النعمةِ ولا غَمَروا المساكينَ فى تطاولهم بأعناقهم إلا من أنهم يَعلُون أكتافَ الشياطين ؛ فالشيطانُ دابَّة الغنىِّ الذى يجهلُ الحقَّ عليه فى غناه ويحسبُ نفسه مُخلّى لشهواته ونعيمه ؛ كما هو دابةُ العالِم الذى يجهل الحق عليه فى علمه ، ويزعمُ نفسه مخلى لعقله أو رأيه ، وما طال الطويل بذلك ولا عن ذلك قصُر القصير ، وهل يصحُّ فى الرأى أن يقال هذا أطولُ من هذا لأن الأول فوق السُّلم والآخر فوق رجليه . . . .

***

قال المسيَّب : فقام شيخٌ من أقصى المجلس وأقبل يتخطَّى الرقابَ والناسُ يَنفرجون له حتى وقف بازاء الامام ؛ وتفرّستُه وجعلتْ عيني تَعجمُه ، فاذا شيخ تبدو طلاقةُ وجهه شباباً على وجهه ، أبلجُ الغُرَّة مُتهلّلٌ عليه بشاشة الايمان ، وفى أساريره أثرٌ من تقطيب قديم ، ينطق هذا وذاك أن الرجلَ فيما أتى عليه من الدهر قد كان أطفأ المصباحَ الذى فى قلبه مرةً ثم أضاءه . وعجبتُ أن يكون مثلُ هذا الشيخ قد همَّ بقتل نفسه يوماً وأنا أرى بعينيَّ نفسه هذه منبثقةً فى الحياة انبثاقَ النخلةِ السحوق

وتكلم هذا الرجل فقال :

أَمَا إذ ناشدتنا اللهَ والاسلام وميثاقَ العلم ووحىَ الأقدار فى حكمتها ، فانى محدِّثك بخبرى على وصفه ورَصْفه : أملقتُ منذ ثلاثين سنة ووقف بى من الدهرِ ما كان يجرى ، وأصبحتُ فى مزاولة الدنيا كعاصرِ الحجَر يريد أن يشرب منه ، وعجزتْ يدى حتى لَظُفُرُ دجاجة فى نبشها الترابَ عن الحبة والحشرة أقدرُ منى ، وطرَقتنى النوائبُ كأنما هى تساكنُنى فى دارى ، وأكلنى الدهرُ لحماً ورمانى عظاماً فما كان يقف علىَّ إلا كلاب الطريق ؛ ولى يومئذ امرأةٌ أعقبتُ منها طفلاً ويلزمُنى حقُّهما ولا أستطيعه ، وكان بيننا حبٌّ فوق المعاشرة والألفة قد ترَكنى من امرأتى هذه كالشاعرِ الغزِلِ من صاحبته ، غير أن الشعر فى دمى لا فى لسانى

فلما نهكتْنى المصائبُ وتناولتنى من قريب ومن بعيد ؛ قلت للمرأة ذات يومٍ وقد شَحِبَتْ وانكسر وجهها وتَقبضَ من هُزاله : وايمُ الله يا فلانة لو جاز أن يُؤكل لحمُ الآدمىّ لذبحت نفسى لتأكلى وتدرِّى على الصبى . ولقد هممتُ أن أركبَ رأسى وأذهب على وجهى لتفقدانى فتفقدا شؤمى عليكما ؛ ولكن ردَّنى قلبى ، وهو حبسنى فى هذه الدنيا الصغيرة التى بينكما ، فليس لى من الأرض مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا أنت وهذا الصبى . ولستُ أدرى والله ما نصنع بالحياة وقد كنا من نباتها الأخضر فرَجعنا من حطبها اليابس ، وعادت الشمس لا تغذوها بل تمتصُّ منها ما بقى ، ولا تستضىء لها ، ولكن تَستوقد عليها !

إن من فَقَد الخيرَ ووقع فى الشر ، حرىٌّ أن يكون قد أصاب

خيراً عظيما إذا قتل نفسه تخلّص من الشر والخير جميعاً ، لا يُكْدى ولا ينجح ، ولا يألم ولا يَلذّ ؛ وكما أنكرته الدنيا فلينكرها . أما إنه ان كان القبرُ فالقبرُ ولكن فى بطن الأرض لا على ظهرها كحالنا ؛ وإن كان الموتُ فالموتُ ولكن بمرّة واحدة وفى شيء واحد لا كهذا الذى نحن فيه أنواعاً أنواعاً . قد ماتت أيامُنا وتركتنا نعيش كالموتى لا أيام لهم ، وزاد علينا الموتى فى النعمة والراحة أنهم لا يتطفّلون على أيام غيرهم فيُطردوا عن يوم هذا ويوم ذاك

قال : فاستعبرَت المرأةُ باكية ، ولما فرغتْ من كلام دموعها قالت : كأنك تريد أن تفجعنا فيك ؟ قلتُ : ما عَدَوْتِ ما فى نفسى ؛ ولكن هل بقى فىّ من تُفجعين فيه ؟ أما ذهب منى ذاك الذى كان لك زوجاً وكاسباً ، وجاء الذى هو همُّك وهمُّ هذا الصبىّ من رجلٍ كالحفرة لا تنتقل من مكانها وتأخذ ولا تعطى ؟

أمْ والله لكأنى خُلقتُ إنساناً خطأً ، حتى إذا تبين الغلطُ أُريد إرجاعى الى الحيوان فلم يأتِ لا هذا ولا ذاك ، وبقيت بينهما ؛ يمرُّ الناس بى فيقولون إنسانٌ مسكين ؛ وأحسبُ لو نطقت الكلابُ لقالت عنى كلبٌ مسكين . ياعجباً عجباً ! لاينتهى ، أصبحت الدنيا فى يدنا من العجز واليأس كأنما هى بَعرةٌ نجهدُ فى تحويلها ياقوتةً أو لؤلؤة . . . .

فقالت المرأة : والله لئن حييتَ على هذا إن هذا لكفرٌ قبيح ، ولئن مُتَّ عليه إنه لأقبح وأشد

فقلت لها : ويحكِ وماذا تنظر العينُ المبصرةُ فى الظلام الحالكِ إلا ما تنظرُ العمياء ؟

قالت : ولِمَ لا تنظر كما ينظر المؤمن بنور الله ؟

قلت : فانظرى أنت وخبّرينى ماذا ترَيْن . أترَيْن رغيفاً ؟ أترَيْن إداماً ؟ أترَيْن ديناراً ؟

قالت : والله إنى لأرى كل ذلك وأكثر من ذلك . أرى قمراً سيكشف هذه السُّدْفةَ المظلمة إن لم يطلُع فكأنْ قدْ

قال : فغاظتني المرأة ورأيتها حينئذ أشدَّ على بقلة ذاتِ عقلها من قلة ذاتِ يدى ؛ ولولا حبّى إياها ورحمتى لها لأوقعت بها . واستحكم فى ضميرى أن أزهقَ نفسى وأدَعها لما كُتب لها وقلت : إن جُبن المرأة هو نصف إيمانها حين لا يكون نصف عقلها ، وللقَدَر يدٌ ضعيفةٌ على النساء تصفعهنّ وتمسح دموعهن ، وله يدٌ أخرى على الرجال ثقيلة تصفع الرجلَ وتأخذُ بحلقه فتعصره .

* * *

قال : وكنتُ قد سمعتُ قولَ الجاهلية فى هذه الخليقة : أرحامٌ تدفع ، وأرضٌ تبلع . فحضرنى هذا القولُ تلك الساعةَ وشُبِّه لى ، واعتقدتُ أن هذا الانسانَ شيء حقيرٌ فى الغاية من الهوان والضَّعة : حملته أمُّه كُرهاً ، وأثقلت به كُرهاً ، ووضعته كُرهاً ؛ وهو من شؤمه عليها إذا دَنَا لها أن تضعَ لم يخرج منها حتى يضربَها المخاضُ فتتقلّب وتصيح وتتمزّق وتنصَدع ؛ وربما نَشِبَ فيها فقتلها ، وربما التوى فيُبْقَرُ بطنُها عنه . وإذا هى ولدته على أىِّ حالَيْها من عُسرٍ وتطريق بمثل الطَارق المحطِّمة ، أو سَراحٍ ورَواحٍ كما يتيسر — فانما تلده فى مَشيمةٍ ودماءٍ وقذَرٍ من الأخلاط كأنما هو خارج من جُرْح . ثم تتناوله الدنيا فتضمُّه من معانيها فى أقبحَ وأقذرَ من ذلك كله . ثم يستوفى مُدّته فيأخذه القبر فيكون شراً عليه فى تمزيقه وتعفينه وإحالته

قال : وحضرنى مع كلمة الجاهلية قولُ ذلك الجاهل الزنديق الذى يُعرفُ (بالبَقْلى) إذ كان يزعم أن الانسان كالبَقْلة — فاذا مات لم يَرجع . وقلت لنفسى : إنما أنتِ بقلةٌ حمقاءُ ذاوية فى أرضٍ نَشّاشةٍ فقتلها مِلْحُ أرضها أكثرَ مما أحياها

قال : وثُرتُ إلى المُدْية أريد أن أتوجّأ بها ، فتُبادرُنى المرأةُ وتحولُ بينى وبينها ؛ وأكاد أبطشُ بها من الغيظ ، وكانت روحُ الجحيم تَزْفِرُ من حولى ، لو سمعوا سمعوا لها شهيقاً وهى تفور ؛ فما أدرى أىُّ مَلَكٍ هبط بوحى الجنة فى لسان امرأتى

قلت لها : إنها عَزْمةٌ منى أن أقتلَ نفسى

قالت : وما أريد أن أنقضها ولستُ أردُّك عنها وسأمضيها

قلت : تخلّى بين نفسى وبين المُدْية

قالت : كلنا نفسٌ واحدةٌ أنا وأنت والصبىّ فلننقض معاً ؛ وما بنفسى عن نفسك رغبةٌ ، ولا ندعُ الصبىّ يتيماً يصفعُه من يُطعمه ، ويضربه ابنُ هذا وابنُ ذاك إذ لايستطيعُ أن يقول فى أولاد الناس أنا ابن ذلك ولا ابنُ هذا

قلت : هذا هو الرأى

قالت : فتعالَ اذبح الطفل . . . .

* * *

قال المسيَّب بن رافع : وما بلغ الرجل فى قصته إلى ذبح ابنه حتى ضجَّ الناسُ ضجةً منكَرة ؛ وتوهم كل أبٍ منهم أن طفله الصغير مُمدَّدٌ للذبح وهو ينادى أباه ويشُقُّ حلْقَه بالصراخ : يا أبى ؛ أدركنى يا أبى

أما الامام فدَمَعتْ عيناه وكنتُ بين يديه فسمعتُه يقول : إنا لله ، كيف تصنعُ جهنمُ حطَبها ؟

وأنا فما قطُّ نسيتُ هذه الكلمة ، وما قطُّ رأيتُ من بعدها كافراً ولا فاسقاً فاعتبرتُ أعمالَه إلا كان كلُّ ذلك شيئاً واحداً هو طريقة صنعته حطباً . . . كأن الشيطان لعنه الله يقول لأتباعه : جفِّفُوه . . .

وكانت هُنيهاتٌ ، ثم فاءَ الناسُ ورجعوا إلى أنفسهم وصاحوا بالمتكلم : ثم ماذا ؟

* * *

قال الرجل : ففتحتُ عينى وقلبى معاً ورمقْتُ الطفلَ المسكين الذى لا يملك إلا يديه الضعيفتين ؛ ونظرتُ إلى مجرى السكِّين من حلقه وإلى محزِّها فى رقبته اللينة ؛ ورأيتُه كأنما تفرَّقَ بصرُه من الفزَع على كل جهة ، ورأيته يتضرّع لى بعينيه الباكيتين ألا أذبحَه ، ورأيته يتوسل بيديه الصغيرتين كأنه عرف أنه منى أمام قاتله ؛ ثم خُيِّل إلىَّ أنه يتلوّى وينتفضُ ويصرخ من ألم الذبح تحت يد أبيه

يا ويلتاه ! لقد أخذنى ما كان يأخذنى لو تهدّمت السماء على الأرض ، وحسبت الكونَ كلَّه قد انفجر صُراخاً من أجل الطفل الضعيف الذى ليس له إلا ربُّه أمام القاتل

فهروَلْت مسرعاً وتركت الدارَ والمرأةَ والصبىَّ وأنا أقول : يا أرحمَ الراحمين . يامن خلق الطفلَ عالَمُه أمُّه وأبوه وحدهما وباقى العالم هباءٌ عنده . يامن دبّر الرضيعَ فوهبه مُلكاً ومملكة وغنى وسروراً وفرحاً ، كلُّ ذلك فى ثَدْى أمِّه وصدرِها لاغير . يا إلهى : أنسنى مثلَ هذا النسيان ، وارزقنى مثل هذا الرزق ، واكفلنى بمثل هذا التدبير فانى منقطعٌ إلا من رحمتك انقطاعَ الرضيع إلا من أمِّه

* * *

قال الرجل : ولقد كنتُ مغروراً كالجيفة الراكدة تحسب أنها هى تفور حين فارت حشراتُها . ولقد كنت أحقرَ من الذباب الذى لا يجد حقائقه ولا يلتمسها إلا فى أقذر القذر

وما كدت أمضى كما تسوقنى رِجلاى حتى سمعت صوتاً ندياً مطلولاً يُرجِّع ترجيع الورقاء فى تحنانها وهو يُرتل هذه الآية :

« واصبرْ نفسك مع الذين يدْعون ربّهم بالغداةِ والعشىِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناكَ عنهم تريد زينةَ الحياة الدنيا ، ولا تُطعْ من أغفلنا قلبَه عن ذِكرنا واتبع هواه وكان أمرُه فُرُطا . »

قال : فوقفت أسمع وماذا كنت أسمع ؟ هذه شُعَلٌ لا كلمات ، أحرقت كلَّ ما كان حولى ولمستْ مصباحَ روحى المنطفئ فاذا هو يتوهج ، وإذا الدنيا كلها تتوهج فى نوره ، وارتفعتْ نفسى عن الجدْب الذى كنت فيه وكأنما لفّتنى سحابةٌ من السحب ففى روحى نسيم الماء البارد ورائحةُ الماء العذب

لعن الله هذا الاضطرابَ الذى يُبتلى الخائفُ به . إننا نحسبه اضطراباً وما هو إلا اختلاطُ الحقائق على النفس وذَهابُ بعضها فى بعض ، وتَضرُّبُ الشرّ فى الخير والخيرِ فى الشر حتى لا يَبينَ جنسٌ من جنس ، ولا يُعرف حدٌّ من حد ، ولا تمتاز حقيقة من حقيقة . وبهذا يكون الزمنُ على المبتلَى كالماء الذى جَمدَ لايتحركُ ولا يتسايَرُ ، فيلوحُ الشرُّ وكأنه دائماً لايزال فى أوله يُنذِر بالأهوال ، وقد يكون هَولُهُ انتهى أو يُوشك

قال الرجل : وكنت أرى يأسى قد اعترَى كل شىء ، فامتد الى آخر الكون والى آخر الزمن ؛ فلما سكن مابى إذا هو قد كان يأسَ يوم أو أيام فى مكان من الأمكنة ؛ أما ماوراء هذه الأيام وما خلف هذا المكان فذلك حكمُه حكمُ الشمس التى تطلُع وتغيب على الدنيا لاحيائها ؛ وحكمُ الماء الذى تَهمى السماءُ به ليسقى الأرض وما عليها ، وحكمُ استمرار هذه الأجرام السماوية فى مَدَارها لا تُمسكها ولاتزنها إلا قوة خالقها

أين أثر الانسان الدنىء الحقير فى كل ذلك ؟ وهل الحياةُ إلا بكل ذلك ؟

وما الذى فى يد الانسان العاجز من هذا النظام كله فيَسُوغ

له أن يقول فى حادثة من حوادثه إن الخير لا يبتدىء وإن الشر لا ينتهى ؟

تعترى المصائب هذا الانسانَ لتمحوَ من نفسه الخِسَّة والدناءة ، وتكسر الشرَّ والكبرياء ، وتَفثأ الحِدَّةَ والطيش ؛ فلا يكون من حمقه إلا أن يزيد بها طيشاً وحدة ، وكبرياءَ وشراً ، ودناءة وخسة ، فهذه هى مصيبة الانسان لا تلك

المصيبة هى ما ينشأ فى الانسان من المصيبة

***

قال : ورددتُ الآية الكريمةَ فى نفسى لا أشبع منها ، وجعلتُ أرتلها أحسنَ ترتيل وأطرَبه وأشجاه فكانت نفسى تهتزُّ وتربُو كأنما هى تبدأُ تنظيمَ ما فيها لاقرار كل حقيقة فى موضعها بعد ذلك الاختلاط والاضطراب

صبرُ النفس مع الذين يمثلون روحانيتها تمثيلاً دائماً بالغداة والعشىّ ، وعلى نور الحياة وظلامها ، يريدون وجهَ الله الذى سبيلُه الحبُّ لاغيرُه من مال أو متاع . وتقييدُ العينين بهذا المثل الأعلى كما يكون الأمر فى الجمال والحب ؛ والربطُ على الارادة كيلا تتفلَّت فتُسفَّ الى حقائر الدنيا المسماة هُزْءاً وتهكما زينةَ الدنيا ، تلك التى تشبه حقائق الذباب العالية . . . فتكون قذرةً نجسةً ، ولكنها مع ذلك زينة الحياة لهذا الخلق . . .

تلك والله هى أسبابُ السعادة والقوة . أما المصائب كلها ، فهى فى إغفال القلب الانسانى عن ذكر الله

***

قال : ولما صحَّت توبتى ، وقوىَ اليقينُ فى نفسى ، كَبُرَت روحى واتسعت ، وانبعثت لها بواعث من غير حقائق الذباب ، وأشرق فيها الجمال الالٰهى ساطعاً من كل شىء ، وكان الصبح يطلع علىَّ كأنه ولادة جديدة ، فأنا دائماً فى عمر طفل . وجاءنى الخير من حيث أحتسبُ ولا أحتسب ، وكأنما نمتُ فانتبهتُ غنياً ، وعَمِلَ القلبُ الحىُّ فى الزمن الحىّ

ولقد أفدْتُ من الآية طبيعةً لم تكن فىَّ ، ولايثبتُ معها الشر أبداً ؛ فأصبح من خصالى أن أرى الحاضرَ كلَّه متحركا يمرُّ بما فيه من خيره وشره جميعاً ، وأستَشْعِرَ من حركته مثلما ترى عيناى من قِطَار الابل يهتزُّ تحت رِحاله وهو يُغِذُّ السَّير

لم أبْعِدْ قليلاً وأنا أمشى مطمئناً تائباً متوكلاً حتى دعانى رجلٌ ذو نعمة ومروءة وجاه ، وكأنما كلَّمه قلبه أو كلّمه وجهى فى قلبه فاستَنْبأنى ، وبَشَثْتُه حالى واقتصصتُ قصتى . فقال : سيُحييك الله بالطفل الذى كدتَ تقتله فارجع الى دارك . ثم وجَّه الىَّ دنانير وقال : اتَّجِر بهذه على اسم الله وبركته فسينمو فيها طفلٌ من المال حتى يبلغ أشُدَّه . وقد صدق إيمانه وإيمانى فبارك لى الله ونما طفلُ المال وبلَغَ وجاوَزَ الى شبابه

***

قال المسيَّب : وجلس الرجل وكان كالخطيب على المنبر ، فقال الامام : ما أشبه النكبَة بالبَيضة تُحسَبُ سجناً لما فيها وهى تحوطُه وتربِّيه وتُعينُه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبرُ الى مدة ، والرضى الى غاية ، ثم تَنْقُفُ البيضةُ فيخرجُ خلقاً آخر

وما المؤمنُ فى دنياه إلا كالفَرخ فى بيضته ، عملُه أن يتكوَّن فيها ، وتمامُه أن ينبثقَ شخصُه الكامل فيخرج الى عالَمِه الكامل

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

السكون فى الظلام

للأستاذ أحمد أمين

ما ألذه ، وما أهنأه ، وما أحلاه !

يذهب بالأوصاب ، ويرد العافية الى الأعصاب

فترة سكون فى ظلام يجب أن يقضيها كل إنسان فى كل يوم — وإذا كان كل الناس فى حاجة اليها فرجال الفكر اليها أحوج ، هى راحة من عناء مجهودهم ، واسترداد لما فقدوا من رءوسهم ، واسترجاع لما قطروا من عصارة عقولهم

وهى فوق ذلك أدعى لصفاء الذهن ، وصحة التفكير ، وجودة الانتاج — فالبذرة لاتنبت فى جلبة وضوضاء وضياء ، إنما تنبت فى جوف الأرض ، حيث لا تراها عين ، ولا تؤذيها حركة ، وحيث تستمتع بكل مافى السكون والظلام من قوة ، حتى إذا تم نضجها خرجت إلى النور والهواء والحركة بساقها وفروعها ، لا بنفسها —

لاوردة تفتن بجمالها ومنظرها وعبيرها قبل أن تدفن بذرتها ، يجب أن تمر بها أيام وأيام ، تشعر بنفسها ولايشعر الناس بها ، وحتى إذا أعجبت الناس ونفحتهم بنعيمها يجب أن يبقى أصلها منعماً بظلامه وسكونه ، فاذا أقلقت مضجعها ، وسلبتها هدوءها سلبتك محاسنها

وكذلك كل حى لابد أن يموت ليحيا ، وهل النوم إلا ضرب من الموت ، ونوع من الفناء . دع الحى يحيا أياماً من غير نوم تره وقد تهدلت أعصابه ، وتهدمت قواه ، وقرب من الفناء الأبدى

وليس يكفى النوم للمفكر ، فهناك ضرب خير من النوم هو أويقات يمضيها فى هدوء وسكون وظلام ، يكون فيها منتبهاً نائماً ، شاعراً حالماً ، يلذ فيها لذة النوم ، كما يلذ لذة الصحو ، يتعرض فيها لنفحات الله ، ويلمع فى روحه قبس أشبه ما يكون بالالهام ، وتأتيه الفكرة الناضجة ، أو الخطرة الكاشفة ، أو اللمحة الدالة ؛ فتكون خيراً من ساعات وساعات يقضيها فى العمل ، وبين المحبرة والقلم ، والصحف والكتب

قرأت مرة أن متعلماً كان يقص على معلمه أنه يصبح مبكراً فيقضى ساعات فى استذكار دروسه ، وساعات فى تعلم لغات أجنبية ، وساعات فى أخذ دروس جديدة فى علوم مختلفة ، حتى يمضى جزء كبير من الليل فيذهب الى فراشه وقد أنهكه التعب ، وأخذ منه كل مأخذ ، فقال له أستاذه : ومتى تفكر ، وأين تجد نفسك ؟

وهو سؤال له دلالته ومغزاه ، فأكثر الناس لايفكرون ، وإن ظنوا أنهم فيما يقرءون ويكتبون يفكرون ، وأكثر الناس يفقدون أنفسهم فى ثنايا صحفهم وكتبهم

ولأمر ما كان النبى صلى الله عليه وسلم « يخلو بغار حراء ، ويتعبد فيه الليالى ذوات العدد يتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء »

فى غار حراء حيث السكون والظلام ، بعيداً عن الخلق قريباً الى الحق ، قد انقطع عن العالم وضوضائه ، والدنيا وألاعيبها ، قد صفت نفسه من صفاء محيطه ، ووجد نفسه فوجد ربه ، وتعرض للالهام فجاءه الالهام ، وتهيأ للوحى فنزل عليه الوحى

* * *

لكم تمنيت أن يكون للمسلمين تكايا أو خانقاهات فى أمكنة نزهة منقطعة ، ليست من هذا النوع الذى يأوى اليه العاجزون والعاطلون ، والذين يأكلون ولا يعملون ، ولكنها من طراز حديث يهرع اليها من أراد أن يستجم نفسه ، ويريح قلبه ، ويسترد هدوءه ، بعد أن أتلفتها ضوضاء المدينة ، وجلبة الحياة العصرية — تكون مستشفى للنفوس بجانب مستشفيات الأبدان ، ويترهب فيها من أضناه العمل ، وأعياه الجهد ، رهبانية مؤقتة يجدد فيها نفسه ، ويغذى بهدوئها وسكونها عقله وحسه ، ويبعث إلى العالم خلقاً جديداً كما يبعث النوم الحياة — إذن لقلت أخطاء الناس ومظالمهم ، فأكثرها مبعثه فساد الأعصاب — وإذن لقل إلحادهم فأكثره منشؤه الانغماس فى المادة وشؤونها ، فاذا تجرد المرء منها زمناً وخلا بنفسه وأتيحت له فرصة التفكير فى هدوء وسكون وظلام تحرك قلبه للعبادة ، ونزع إلى الايمان ، فاستجاب لفطرته ، واستمع لطبيعته — وإذن لقلت مطامع الناس ، وتكالبهم على الحياة ، فحياة الهدوء والسكينة توحى بأن الحياة ظل زائل ، ومرحلة مسافر

لقد اعتاد الناس أن يفروا من متاعبهم إلى المقاهى والفنادق فى الهواء الطلق ، وعلى شواطئ الأنهار والبحيرات والبحار ،

ولـكنها كلها تفيد الجسم ولا تفيد — كثيراً — الروح والنفس ، هى من نوع المستشفيات البدنية لا المستشفيات الروحية والنفسية ، فيها — عادة — كل مظاهر المدينة وتعقيداتها وأخيلتها وتكاليفها ، فهى لا تغني غناء صحيحاً فى العلاج النفسى والروحى — إنما يغنى هذا الغناء أنواع من المعاهد والمؤسسات قد بني على أساس نفسي وروحى لا يعبأ بزخارف المدنية وزينة الحضارة ، يريح النفس من عناء التكاليف والتقاليد ، ويسمو بها فوق المواضعات والمصطلحات ، فتجد النفس راحتها الطليقة ، وتعود إلى طبيعتها الحرة ، وتسبح فى تأملاتها ، وبذلك تسترد حيويتها ونشاطها

***

فى سكون الظلماء يرى الانسان بعينه ما لا يراه فى الضياء ، ويسمع بأذنه ما لا يسمع فى الضوضاء ، على أنه هو لا يرى بعينه فحسب ، ولا يسمع بأذنه فحسب ، بل كل شيء فيه يسمع ويرى ، يفهم منطق الطير ، ويتذوق موسيقاه ، ويدرك معانى المياه فى خريرها ، والرياح فى هبوبها ، والأشجار فى حفيفها — فكأنه منح من الحواس أضعاف حواسه ، وملك من الملكات ما لا يعد بجانب ملكاته — وكأن عالم الصخب والجلب يغشى عينه ، ويثقل سمعه ، ويبلد عقله ، ويثلم ذوقه ، فلئن كان الصوت فى عالم الحس له حدود ، فاذا قلت تموجاته عن حدوده أو زادت انعدم السمع ، فليس فى عالم الروح حدود للصوت ، ولئن كانت العين فى عالم الحس لا تدرك من الألوان إلا أقلها ، وتعجز عن إدراك أكثرها ، فعين الفكر لا يحدها حد ولا يعجزها لون ، ولئن كانت عيننا البصيرة لا تبصر إلا فى ضياء ، وأذننا لا تسمع إلا من قرع هواء ، فعيوننا وآذاننا الروحية تستعين بالسكون والظلماء ، أكثر مما تستعين بالضوء والهواء

***

إنى لأرثى لهؤلاء الذين يضيعون كل حياتهم فى هزل ، بل أرثى كذلك لهؤلاء الذين يقضون نهارهم فى وظائفهم وأعمالهم . ثم ينصرفون الى لهوهم حتى يناموا ، بل أرثى أيضاً لهؤلاء الذين يقضون أوقاتهم بين بحث علمى ، وقراءة وتأليف وتعليم . ثم لهو قليل ونوم ، وأعتقد أن هناك عنصراً فى الحياة ينقصهم وهو عنصر التأمل ، ولست أعني بالتأمل ذلك الضرب من الأسلوب المنطقى العلمى فى البحث والتفكير ، إنما أعني ذلك الضرب الذى عناه القرآن بمثل قوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وقوله : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » هو نوع من العقل قد مزج بنوع من الشعور ، وقد امتاز به الشرق على الغرب قديماً ، ومن ثم كان مبعث الأديان ، ومصدر الالهام

فى هذا الضرب من التأمل يجد الانسان نفسه حيث لا يجدها فى هزل ولا جد ، وفيه يعرف نفسه على حين أنه يعرف غيره أكثر مما يعرف نفسه ، وفيه يجلس الى نفسه ويصادقها ويصارحها على أن أكثر الناس يجالسون الناس ولا يجالسون أنفسهم ، ويصارحون الناس ولا يصارحون أنفسهم ، ويصادقون الناس وهم أعداء لأنفسهم

وأظن أن فى الاستطاعة أن يوضع برنامج متسلسل للتأمل كبرنامج القراءة والكتابة وتعلم اللغات وتعلم العلوم ، يبدأ فيه بألف باء التأمل ، وينتهى بيائه إن كان له ياء ، وتخصص له حصص يومية كحصص المواد العلمية ، وإن كانت حصصه تمتاز بأنها فى ميسور كل إنسان ، ليست تحتاج الى مدرسة يتردد عليها ، ولا إلى معلم بأجر ، ولا أدوات وكتب يتداولها ، إنما هى من قبيل تربية النفس بالنفس — وليست تحتاج إلا الى مران واعتياد وعرفان بكيفية السلوك

أول دروسها أن تخلو بنفسك ، ولا يكون ذلك إلا فى هدوء وسكون ، وخير أن يكون فى ظلام . ثم تجرد فى هذه الحصة من شواغل الدنيا وهمومها ؛ واستعرض نفسك من حيث بدنك كيف تؤذيه ببعض عاداتك ؛ وهل تدبره تدبير عاقل حكيم ، أو مستبد جاهل ، وما خير الوسائل لاصلاح ما تقع فيه من أغلاط ؟

وتدرج من هذا الى التأمل فى ناحية أخرى نحو علاقتك بعقلك ، وعلاقتك بالناس واستعراض ما يكون منك ومنهم

وارق الى خطوة ثالثة تسائل فيها نفسك ، ما غايتك وما مبادئك فى الحياة ، وهل وضعت لها خططاً ؟ وما مقدار تقدمك اليها أو تأخرك عنها ؟

سيسلمك ذلك — من غير شك — الى خطوات أوسع ، وتأمل أعمق حسب جهدك واستعدادك ؛ وستكون لك فى النهاية فلسفة لا من جنس فلسفة أفلاطون وأرسطو ، ولكنها فلسفة

عصر الخفاء فى مصر الإسلامية

٦ـ الحاكم بأمر الله

ختام البحث

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١٠ —

إلى ذلك الحين سلخ الحاكم زهاء خمسة عشر عاماً فى الحكم؛ وكانت فترة تحمل طابع الاضطراب والعنف والمفاجأة بما تخللها من غريب الاحكام والتطورات التى أتينا على ذكرها. ولكن الحوادث تدخل من ذلك الحين فى طور آخر، ويميل العهد إلى نوع من الهدوء، ويتجه الحاكم وجهة أخرى. كان ذلك الذهن المضطرم الهائم معاً لا يسكن الى ركود الحياة العادية، وكان دائماً يؤثر التوغل فى عوالم الحياة الروحية. وكانت أعوام العصر الأخيرة مليئة بهذه التيارات الخفية التى تحجب عنا أغوارها ريب وظلمات كثيفة. كانت مصر فى هذه الأعوام مهداً خصباً لعصبة من الدعاة المغامرين الذين هبطوا اليها يبشرون بأديان وعقائد جديدة؛ وكان الحاكم من وراء هذه الدعوات يرعاها ويرقب تطوراتها، حتى استحالت فى أواخر عهده إلى دعوة جريئة إلى «ألوهته»، ونعت الحاكم عندئذ بقائم الزمان وناطق النطقاء. وقد سبق أن فصلنا عناصر هذه الحوادث والدعوات فى «الرسالة» فى بحثنا «الدعوة الفاطمية السرية» فلا نعود اليها هنا

وكانت خاتمة الحاكم، كحياته، خفية مدهشة؛ فقد أغاض من هذا العالم وزهق فى ظروف غامضة ما زالت على التاريخ سراً عسير الجلاء[1]

* * *

وهنا نحاول، بعد أن استعرضنا أعمال الحاكم بأمر الله وغريب أحكامه وتصرفاته، ان نعرض إلى أدق وأصعب نقطة فى دراسة هذه الشخصية العجيبة

ماذا كانت حقيقة هذه الشخصية التى جمعت بين خلال وصفات يحمل أكثرها طابع العنف والشذوذ والتناقض؟ وبأى عين يجب أن ننظر اليها، وبأى معيار نستطيع أن نقدر صفاتها وأعمالها؟ وأى أحكام يسوغ لنا أن نصدرها لها أو عليها؟

لدينا فى ذلك مادة منوعة: أقوال الرواية الاسلامية المعاصرة والمتأخرة، وحوادث العصر، وأعمال الحاكم وتصرفاته ذاتها. فأما الرواية الاسلامية، فلا ترى فى أمر الحاكم لغزاً يصعب استجلاؤه؛ ولنلاحظ أولاً أن ما انتهى الينا من أقوال الرواية الاسلامية، إنما هو فى الغالب أقوال المؤرخين السنيين، خصوم الشيعة وخصوم الدولة الفاطمية، واننا لم نتلق من تراث الشيعة الذى بددته الحوادث والدول الخصيمة ما يلقى ضياء كافياً على ذلك الخفاء الذى يحيط بشخصية الحاكم وأعماله. والحقيقة أن الرواية الاسلامية تأخذ بظواهر الحوادث المادية، وتكتفى بأن تقدم الينا الحاكم فى تلك الصور المروعة المثيرة التى أشرنا اليها؛ وقلما تحاول أن نلتمس فيما وراء ذلك شيئاً من البواعث والأسباب التى يمكن أن نعلل بها بعض نزعات الحاكم وتصرفاته العجيبة. وقد أوردنا بعض أقوال الرواية الاسلامية فى وصف الحاكم؛ فهى لا ترى فيه أكثر من أمير مضطرب العقل والتفكير، عنيف الأهواء والنزعات، كثير العيث والسفك، شديد التناقض، لا يصدر عن روية أو منطق متزن، ولا يتحرى غاية أو مثلاً معقولة. هذه هى الصورة العامة التى يقدمها الينا المؤرخون

(١) نترك هذا البحث أيضاً إذ سبق أن عالجناه فى فرصة سابقة

شخصية قد بنيت على تأملك وشعورك لا على حفظك وقراءتك. وستتصل من هذا الطريق بأفق أوسع وملكوت أعلى

فى الحديث: «الناس نيام، فاذا ماتوا انتبهوا» ولعل هذا الضرب من التأمل ينبههم فى حياتهم، من غير أن ينتظروا أن يتنبهوا بموتهم

ربما كان هذا ضرباً من التصوف يتفق وروح العصر، وإن شئت فقل إنه نوع من التصوف على أحدث طراز وأبدع نمط، يبعث على الحياة لا الموت، ويدعو الى النشاط والعمل لا الى الخمول والسأم، ولعل الانسان يجد فى الركون اليه بعض أوقاته راحة مما رمتنا به المدنية الحاضرة من عناء، وما أرهقتنا من عنت، ولعلنا نستروح من هذا البرنامج نسيم الراحة فيراجعنا نشاطنا، وتثوب الينا قوتنا، وتعود الينا نفوسنا

أحمد أمين

المسلمون عن الحاكم ؛ وهى صورة بسيطة ساذجة مستمدة من ظاهر الحوادث المادية ؛ فقد كان الحاكم طاغية شديد البطش والسفك ، ولكنه كان يتخذ السفك وسيلة لا غاية ، وكان القتل فى نظره خطة سياسية ؛ وكان عنيف الأهواء والنزعات ، ولكنها لم تكن نزعات شهوة نفسية ، وإنما نزعات ذهن يرتفع عن الوسائل العادية لتوجيه مجتمع يراه جديراً بالتغيير والتطور ؛ وكان متناقضاً فى كثير من تصرفاته ، ولكن تناقض الذهن الذى يحاول مختلف الوسائل والتجارب لتحقيق غايات معينة . ومع ذلك فانه لم يفت بعض المؤرخين أن يلاحظ أن عقلية الحاكم لم تكن بتلك البساطة التى تصور بها ، فقد وصفه الذهبى بأنه كان « خبيثاً ، ماكراً ، رديء الاعتقاد »[١] ، وهى صفات ليست من خواص الذهن المضطرب السقيم الذى يفكر دون تدبر ويعمل دون غاية

والواقع أن الحاكم بأمر الله كان عقلية مدهشة ، وكان لغزاً عسير الفهم ؛ وإذا كان قد اشكل على المؤرخين المسلمين من معاصرين ومتأخرين فلم يحاولوا فهمه ، فانه ما زال أيضاً فى بعض نواحيه لغزاً على عصرنا ، وإن كنا نستطيع أن نحاول فهمه من بعض النواحى ، وتعليل كثير من أعماله وأحكامه . ويصفه العلامة الألمانى ميللر بأنه « من أعجب وأغمض الشخصيات التى عرفها التاريخ » ؛ ويقول : « إن من يقرأ ما أورده المؤرخون المتأخرون من مختلف الأساطير والقصص يخرج بأنهم لم يفهموه ، وانهم اعتبروه مجنوناً فقط ؛ وقد جرى رأيهم فيه مجرى الحقيقة ، ولكن توجد ثمة شواهد واضحة على أن هذا الأمير الذى هو أعجب من أنجبت أسرته ، كان أشدهم اثارة للأساطير من حوله ، وأن حجاباً كثيفاً قد أسبغ على صورته فلا نستطيع أن نظفر منها إلا بلمحات »[٢]

والآن ماذا نستطيع أن نقول فى قوانين الحاكم وتصرفاته ؟ وكيف ننظر اليها ؟ هل كانت فى مجموعها فورات مجنون ونزعات مخبول كما تصورها معظم الروايات الاسلامية ؟ إن كثيراً من هذه القوانين والأحكام يحمل طابع القسوة والاغراق ، ولكن من التحامل والظلم أن نصفها بالسخف المطبق ، وأن ننعت صاحبها بالجنون . ولقد ظلم التاريخ الحاكم كما ظلم كثيرا من الطغاة

(١) راجع النجوم الزاهرة (٤ ص ١٧٨)

(٢) Müller, Der Islam I. p 628

المصلحين ؛ وقد كان الحاكم طاغية ، ولكن مصلحاً على طريقته ؛ وكان يرمى بما يصدر من القوانين والأحكام الى تحقيق غايات معينة ، دينية وسياسية واجتماعية ، ربما خفيت على الكافة ، لأنها تتعلق بسياسة الدولة العليا ؛ ومن ثم كان الريب فى حكمتها والسخط عليها ؛ وكانت القسوة فى تطبيقها

فأما معاملة الذميين : أعنى اليهود والنصارى ، وما صدر فى شأنها من الأوامر والأحكام المشددة ، فلم تكن بدعة فى ذاتها ، ولم تكن حدثاً جديداً فى الخلافة الاسلامية ؛ ولم يكن فيها من الجديد سوى روحها ووسائلها الشديدة التى جعلت منها نوعاً من الاضطهاد المنظم . ولقد كانت الخلافة الاسلامية تأخذ بسياسة التسامح الدينى وتطلق لرعاياها الذميين الذين يؤدون الجزية حرية الاعتقاد والشعائر ؛ ولكن الذميين كانوا يلقون من الوجهة الاجتماعية دائماً نوعا من المعاملة الخاصة ؛ ومنذ خلافة عمر فرضت عليهم بعض الأحكام والقيود التى تجعلهم من الوجهة الاجتماعية أدنى من المسلمين ، وكان منها قيود تتعلق بالأزياء وركوب الخيل ، وحمل السلاح ، واقتناء العبيد[١] ؛ وكانت هذه الأحكام تتخذ فى عصور الحماسة الدينية لوناً من الشدة يختلف باختلاف الظروف والأحوال . وقد رأينا أن الخلافة الفاطمية كانت تتبع سياسة التسامح الدينى نحو اليهود والنصارى ، وأنهم فى ظلها ازدهروا وتبوءوا أرفع مناصب الثقة والنفوذ ، وأن موقف الحاكم نحوهم ، واشتداده فى معاملتهم على هذا النحو ، كان انقلاباً فى السياسة الفاطمية . وقد نستطيع أن نفسر هذا التطرف من جانب الحاكم ، بأنه نوع من الغلو الدينى له بواعثه السياسية ؛ ففى هذه المرحلة التى اشتد فيها الأمر على اليهود والنصارى ، كان الحاكم يبدى كثيراً من التعصب والغلو سواء من الناحية الدينية العامة أو الناحية المذهبية الخاصة ؛ ولكن هذه الشدة استحالت فى أواخر عصره الى نوع من اللين والرفق بالنصارى واليهود ؛ ذلك لأن هذا الذهن المضطرم يستحيل عندئذ الى ذهن فلسفى حر التفكير ، ينظر الى الأديان كلها نظرة واحدة ؛ وإن كانت السياسة العليا تحتم عليه أن يؤيد دين الدولة ومذهبها الرسمى ؛ وقد كان الحاكم ولد أم نصرانية كما قدمنا ، أفلا نستطيع أن نلمس أثر هذه الأرومة أيضاً فى هذا

(١) راجع هذه الأحكام فى فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٥١

التكوين الديني المضطرب ، وفى هذا التردد بين الشدة واللين ؟ ومما يلاحظ فى هذا الصـــدد أن موقف الحاكم ازاء النصارى واليهود هو من المواقف القليلة التى ثبت فيها الحاكم على سياسة واحدة ، وأنه لم يجنح فيه من الشدة الى اللين إلا فى أواخر عصره حينما ظهر الدعاة السريون يدعون الى دين جديد وعقائد جديدة

وقوانين الحاكم الاجتماعية ؟ هل كانت تشريعاً جنونياً خاليا من كل باعث وحكمة ؟ إن الحكم على هذه القوانين يقتضى أن نفهم روح العصر وخواص المجتمع المصرى يومئذ ؛ كان الحاكم بأمر الله على رأس خلافة مذهبية يقوم سلطانها السياسى على صفة الامامة الدينية ؛ وكانت هذه الخلافة تريد أن تحيط ملكها فى مصر بسياج قوى من الخلال القوية التى أحاطت ملكها فى المغرب ؛ ولكنها ألفت فى مصر مجتمعاً متحضراً يميل الى الترف والحياة الناعمة ؛ ولم ترد أن تضيق على هذا المجتمع بادىء بدء ، لأنها كانت تخطب وده وتسعى الى تأليفه ؛ ولهذا كانت تسايره ، وتغريه بيذخها وبهائها ، وتطلق له أعنة البهجة والمرح ، وتغمره بالمواسم الفخمة والحفلات والمواكب الشائقة ؛ فكانت تذكى بذلك مرحه وخفته واستهتاره بدلا من أن تذكى فيه الخلال القوية التى تنشدها . وكانت عوامل الانحلال تجثم فى قرارة هذا المجتمع الذى يخفى انحلاله تحت أثواب من الفخامة والبهجة ؛ وكانت الرذائل الاجتماعية على أشدها حينما تولى الحاكم بأمر الله ، وظهر ذلك الانحلال الاجتماعى فى أشد مظاهره حينما نظمت حياة الليل ، وشهد الأمير فى مواكبه الليلية مظاهر هذا الفساد الشامل . عندئذ عمد الحاكم إلى وضع هذه الخطة التى يمكن أن توصف بحق بأنها برنامج للاصلاح الاجتماعى ، ولجأ إلى تلك القوانين والاجراءات الصارمة كوسيلة لمكافحة هذا الفساد الاجتماعى الشامل ؛ وفيم تحريم الخمر ومطاردة المدمنين ، وتحريم الغناء واللهو الخليع إلا أن يكون لتقويم أخلاق الشعب ، وحماية أمواله وصحته من الاسراف والعبث ، وحماية المجتمع من ضروب الفساد التى يغرق فيها ؟ إن الأمم العظيمة فى عصرنا تلجأ فى أحيان كثيرة إلى إصدار مثل هذه القوانين لبث الاصلاح الاجتماعى ؛ وما عهد التحريم الأمريكى ببعيد ؛ فقد حرمت الخمر فى أمريكا مدى أعوام ، وكانت تجربة اجتماعية هائلة لا تزال ذكراها ماثلة فى الأذهان ؛ وما تزال بعض الدول تحرم بعض الملاهى التى تراها خطراً على الأخلاق العامة ؛ وما تزال بعض الحكومات تحد من حريات الشعب فى التجوال بالليل فى ظروف معينة حرصاً على الأخلاق والأمن العام

ومطاردة المرأة والحجر عليها ؟ لاريب أن الحاكم كان يذهب فى ذلك إلى ذروة الغلو والاغراق ، ولكن المرأة من أشد عوامل الفتنة والغواية ، ولا سيما فى عصور الفساد والانحلال ، وقد رأى الحاكم ، فى الحجر على المرأة ، والمباعدة بينها وبين الرجل فى حياة المدينة ، وسيلة لمكافحة الرذيلة وحماية الأخلاق الفاضلة . أما الاغراق فى تطبيق التجربة ، فهو بلا ريب أثر من إغراق هذا الذهن الهائم فى كل ما يعتقد ويبتكر ؛ وإذا كنا نستطيع أن نعلل فكرة الحجر على المرأة وإبعادها عن مجتمعات المدينة ، فمن الصعب علينا أن نعلل ذلك الاغراق فى تطبيقها إلى حدود من القسوة الذريعة . بيد أنه ليس من الانصاف أن ننكر على الاجراء كل حكمة ، فمن المحقق أنه كان ذا أثر كبير فى درء الفساد الشامل وتنقية حياة المدينـة ؛ وإنا لنشهد فى عصرنا فى بعض الأمم العظيمة فكرة مماثلة فى الحد من حريات المرأة الاجتماعية وردها إلى حظيرة الأسرة ، مع فرق فى العصر والظروف . ففى إيطاليا الفاشستية ، وألمانيا الهتلرية ، تفقد المرأة كثيرا من حرياتها ، ويحظر عليها التبذل والتهتك فى الأزياء ؛ وفى إيطاليا تلزم بألا يقل ثوبها عن طول معين ؛ وفى ألمانيا وإيطاليا يحظر اليوم كثير من ضروب اللهو الخليع ، وتمنع الحانات الليلية والملاهى العارية . ولا ريب أن الفكرة التى أملت على الحاكم خطته ، وتملى اليوم على ألمانيا الهتلرية وإيطاليا الفاشستية خطتها نحو المرأة ، ترجع فى جوهرها إلى أصل واحد ، هو مكافحة عوامل الغواية والفساد التى يبثها تهتك المجتمع النسوى وإمعانه فى صنوف الاستهتار والخلاعة

وأما تحريم بعض أنواع الأطعمة فقد يرجع إلى أسباب صحية لها قيمتها فى ذلك العصر ، وأما تحريم ذبح الأبقار السليمة فهو إجراء ظاهر الحكمة وهو المحافظة على النسل . وأما قتل الكلاب فهو تحوط صحى لا يزال يتبع فى عصرنا فى جميع الأمم المتمدنة

ولسنا ندعى أننا نستطيع أن نعلل كل قوانين الحاكم وإجراءاته وتصرفاته أو أن ننفذ إلى بواعثها وحكمتها جميعاً ، فهناك كثير منها مما لا يستطاع فهمه وتعليله ؛ ولكن الذى نود أن نقوله هو أن هذه القوانين والاجراءات ، كانت عكس ما تصورها الرواية

الاســلامية بأنها نزعات طاغية مضطرب الذهن ، تكون فى مجموعها برنامجاً إصلاحياً شاملا ، وترمى فى مجموعها إلى تحقيق غايات لا ريب فى حكمتها وسموها

يقول العلامة دوزى : « لم تكن قوانين الحاكم سخيفة كما يجب أن يصورها الرواة السنيون الذين اعتادوا أن يقدموا الينا من هذا الأمير شخصية مضحكة لاصورة حقة » ثم يقول : « ولقد أراد الحاكم أن يكافح الانحلال الشامل الذى سرى إلى مجتمع عصره بقوانين بوليسية صارمة ، وأحياناً غريبة شاذة » ثم يشرح رأيه بعد ذلك على ضوء هذه القوانين والأحكام المختلفة ، ويحدثنا بعطف عن تواضع الحاكم وتقشفه[1] ويقول ميلر بعد أن يلخص قوانين الحاكم الاجتماعية ، « إن هذه التصرفات ليست كلها تنم عن الحماقة ؛ وإذا كنا لا نستطيع أن نعلل كل أعماله ، فليس ذلك مما يحملنا على أن نعتبر تصرفاته فورة أهواء مستبد ، ولا سيما ونحن نراها فى نواحى أخرى سليمة معقولة . وكل ما وصلنا من الروايات إنما هو وقائع مجردة ، مشوهة ومبالغ فيها بلا ريب ؛ وإنه ليكون من المدهش اليوم أن نستطيع أن نحل رموز هذه المعضلة الشاملة » ثم يقول : « وليس لدينا إلا أن نعتقد أنه إما باطنى متعصب ، توهم فى نفسه الاغراق والالوهية ، وإما أمير ذكى بارع فى تاريخ أسرته ومذهبها ، واعتقد انه يستطيع أن يسمو فوق البشر وأن يحتقرهم ويصنفهم كالشمع طوع إرادته . وربما كان يجمع فى طبيعته المتناقضة بين شئ من هذا وشئ من ذاك . وربما لا يستطيع أن يظفر بالحقيقة هنا سوى خيال شاعر »[2]

والخلاصة أن الحاكم بأمر الله لم يكن تلك الشخصية الوضيعة الساذجة ، ولا تلك العقلية المخرفة التي تقدمها الينا الرواية ؛ ولم تكن أعماله وأحكامه ، كما صورت على كر العصور ، مزيجاً من النزعات والأهواء الجنونية ؛ إنما كان الحاكم لغز عصره ، وكان ذهناً بعيد الغور ، وافر الابتكار ؛ وكان عقلية تسمو على مجتمعها وتتقدم عصرها بمراحل . وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تتبوأ فى التاريخ مكانها الحق

تم البحث — محمد عبد الله عنان

 — المحامى

(1) Dozy : Essai sur l'islamisme P. 287 & 288

(2) Müller; ibid; P. 630

سقراط والعالم الاسلامى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد لهجت ألسنة الأثينيين باسم حكيم لا كالحكماء ، وفيلسوف لا كالفلاسفة . لا يتفق شكله وزيه مع جلال الحكمة ، ولا يتلاءم أصله ونسبه مع عظمة الفلسفة . فقد كان أفطس الأنف ، مرسل الشعر فى غير انتظام ، حافى القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً كساء غليظاً . أبوه نقاش وأمه قابلة : مهنتان ليس لهما من الشرف نصيب كبير[1] وهو مع هذا يناقض أهل أثينا ، ويبين خطأهم ، ويسفه أحلامهم ، دون أن يدعى الاتيان بجديد ، أو تعليم الناس مالم يعرفوه . أجل لم يك هذا الفيلسوف رئيس مدرسة يجتمع فيها الطلاب ، ولا صاحب نظرية محدودة يتدارسها الأتباع والتلاميذ . بل كان يبعث حكمته فى الأسواق والطرقات ، ويلقى درسه أمام الحوانيت وفى ملاعب الشبان . وما كان هذا الدرس وتلك الحكمة إلا إعلانه دائماً أنه لا يعرف شيئاً ، وترديده لهذه الجملة المأثورة : « اعرف نفسك بنفسك »[2] . ذلكم الحكيم الغريب شكله ، القبيح منظره ، الشاذة تعاليمه وطريقته ، هو سقراط الذى نهج بالفلسفة منهجاً جديداً ، وكان على رأس طوائف فلسفية متعددة ومتباينة[3]

بين فلاسـفة الأغريق ثلاثة أسماء لا يكاد الانسان يذكر واحداً منها إلا وحضر بذهنه الآخرون . ومن ذا الذى يلفظ اسم أفلاطون دون أن يخطر بباله أنه كان تلميذاً لسقراط وأستاذاً لأرسطو ؟ أو من ذا الذى يتكلم عن سقراط ولا يلحظ تلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه أرسطو ؟ وفى الحق إن هؤلاء الحكماء الثلاثة يكمل بعضهم بعضاً : تضافروا على تكوين نظرية مشتركة نشأت بين يدى الأول ، وترعرعت لدى الثانى ، وأخذت شكلها الكامل عند الأخير . فكلهم أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض وعني بالانسان فى تفكيره وسلوكه أكثر من عنايته بالشؤون

(1) Bréhier, Histoire de la philosophie, I, 89 — 60.

(2) Rivaud, Les grands courants de la peusée antique, 72 — 73.

(3) Bréhier, vp. cit., I, 89.

الطبيعية فى نظامها وتقلبها . وكلهم يبحث عن الفكرة l'ideé ou le concept فى طريق تكونها ، وأصل نشأتها ، ودرجة وجودها وبذا كانوا جميعاً أساتذة « الفلسـفة الفكرية » la philosophie conceptuelle التى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الدراسات النظرية ، والتى لا تزال عماد البحث العقلى الى اليوم (١)

لم يقف نفوذ سقراط عند الشعبة الأفلاطونية والأرسطوية ، بل تعداها الى مدارس أخرى كانت من أشد الناس عداء لأفلاطون وأرسطو . فالميجاريك تلاميذ أقليد الميجارى Euclide de Mégare ، والسينيك أتباع أنطستين Antisthènes يصعدون الى سقراط ، وإن كانوا من أول من خرج على المنطق ، وشكك الناس فى الحقيقة وكيفية الوصول إليها . فهم بهذا من أكبر خصوم « الفلسفة الفكرية » التى تحدثنا عنها . والأخلاق لدى أصحاب الرواق تعتمد على أساس سقراطى واضح ؛ فالرواقيون يرون – كما يرى سقراط – أن الحسن ما أملته الارادة ، وما اتفق مع العاطفة الشخصية . وعلى هذا يجب أن تؤسس الأخلاق لديهم جميعاً على دعامة من العزيمة والشعور الفردى (٣) . وطريقة اللاأدريين فى الحوار والمناقشة متأثرة قطعاً بطريقة سقراط ومن قبله من السوفسطائيين (٤)

ذلكم هو سقراط فى العالم الأغريقى ؛ ويودنا أن نعرف على أية صورة وصل إلى العالم العربى ، وهل وجد بين العرب أنصاراً وأتباعاً مثلما وجد بين الأغريق ، وهل عُنى المسلمون بشأنه عنايتهم بأفلاطون وأرسطو ؟ مما لا شك فيه أن هذين الأخيرين ملكا على العرب الجانب الأعظم من تفكيرهم الفلسفى ، وكانا موضع شغل الباحثين منهم ، ولعل ذلك راجع الى أن قدراً كبيراً من كتبهما ترجم الى العربيـة ، فساعد على دراستهما دراسة مستفيضة . أما سقراط فلم ينفذ الى الفكر الاسلامى إلا بواسطة ما رواه على لسانه أفلاطون وأرسـطو وبعض المؤرخين أمثال بلوتارك . بيد أن شيخ أثينا هذا ، ورسول « أبولون » ، وترجمان وحى « دلف » (٥) قد أثر فى نواح عربية هامة غامضة ؛ وسنحاول الكشف عنها اليوم

(١) Ross, Aristotle's Metaphysics, I, XXX III et suiv

(٢) Bréhier, op. cit., I, 261 et suiv.

(٣) Janet. Histoire de la philosophie. 413—14.

(٤) Rivaud, op. cit., 179—180.

(٥) نحن نشير هنا الى ما رواه أفلاطون من أن سقراط كان مبعوث « أبولون » وترجمان الآلهـة : voir Platon, Euthyphron, 3 b, Alcibiade, 103—105e

فى سقراط ظاهرتان هامتان : حياته أو إن شئت شخصيته الغريبة ، وطريقته وتعاليمه ؛ وقد يكون ذيوع صوته راجعاً الى الأولى أكثر من رجوعه الى الثانية . فكثير من الناس يعرف سقراط الزاهد المتقشف الذى أعرض عن ملاذ الدنيا ، فلم يشرب نبيذاً قط ، ولم يتناول طعاماً شهياً ؛ وكثير منهم يعرف سقراط القوى العزيمة الذى لا يخضع لارادة غير إرادة الحق ، مهما عظم شأنها ؛ وكثير منهم يعرف سقراط البطل الذى ضحى بنفسه آمناً مطمئناً فى سبيل رأيه وعقيدته . كل هؤلاء يعرفون ذلك من سقراط ، وإن خفيت عليهم آراؤه ونظرياته . هذه الظاهرة الهامة فى الفيلسوف الأثينى هى التى بهرت المسلمين بوجه خاص ؛ فراعهم منه شخصه أكثر مما راعهم علمه ودرسه . وإنا إذا رجعنا إلى كتب التراجم العربية وجدنا أنها لا تكاد تدرس إلا حياته وقصة موته . فابن النديم الذى ترجم له فى اختصار بلغ حد الأخـلال اكتفى بأن قال إنه « كان زاهداً خطيباً حكيماً قتله اليونانيون لأنه خالفهم » (١) ، والقفطى الذى وقف عليه نحو تسع صفحات من القطع الكبير بين فى تفصيل كيف حوكم هذا المتهم البرئ ، وكيف نفذ فيه حكم الاعدام (٢) . وابن أبى أصيبعة يشارك القفطى فى ترجمته المطولة ، ويضم اليها بعض حكم يعزوها إلى سقراط (٣) . الا أن هـذه التراجم فى جملتها تحوى أخطاء يجدر بنا أن نشير إلى بعضها . فمثلاً زعم ابن النديم ومن جاء بعده أن سـقراط ألف مقالة فى السياسة ، ورسالة فى السيرة الجميلة ؛ والحق أن هذا الفيلسوف لم يكتب شيئاً قط (٤) . ومن الغريب أن ابن أبى أصيبعة قد تنبه إلى هذا ولاحظ أن سقراط « لم يصنف كتاباً ، ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته فى قرطاس ، وإنما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير » (٥) ؛ ولـكنه عاد فوقع فيما وقع فيه من قبله من الخطأ (٦) . ويكاد يجمع أصحاب

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ١٩٧ — ٢٠٦

(٣) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، I ، ٤٣ — ٤٩

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥ — ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، I ، ٤٩

(٥) ابن أبى أصيبعة ، المصدر نفسه ، ٤٣

(٦) المصدر نفسه ، ٤٩

التراجم هؤلاء على أن سقراط عاش ثمانين سنة أو جاوزها إلى مائة ، مع أنه توفى عن إحدى وسبعين سنة [١] . ويروى القفطى عن بعضهم أن سقراط كان شآميا ، وهذا خطأ واضح ، فان هذا الحكيم أثيني فى نشأته ونسبه ، ويمثل أول خطوة فى الحركة الفلسفية التى دامت فى أثينا نحو قرن أو يزيد [٢] . ومهما يكن من شيء فانا إن غضضنا الطرف عن هذه الهفوات الصغيرة وجدنا أن هؤلاء المؤلفين وصفوا حياة سقراط فى جزئياتها الهامة

لم تلفت هذه الحياة العظيمة نظر مؤرخى العرب وحدهم ، بل كان لها أثر بين على طائفة من الفلاسفة والعلماء . فالكندى بلغ به حبه للفيلسوف الأغريقى وإعجابه به أن كتب فيه عدة مؤلفات ، منها : رسالة فى خبر فضيلة سقراط ، رسالة فى ألفاظه ، رسالة فيما جرى بينه وبين الحرانيين ، رسالة فى موته [٣] . وهناك تشابه بين سقراط والكندى لن يفوتنا أن ننبه اليه ؛ فلئن كان الأول قد مهد « للفلسفة الفكرية » فى العالم الأغريقى ووضحها بأمثلة من الأخلاق والحياة الدارجة ، فان الثانى هو أول من اتجه نحو الدراسات الفلسفية فى العالم العربى [٤] . وإخوان الصفاء يصعدون بسقراط الى درجة النبوة ، ويعقدون لموته فصلاً قيما فى رسائلهم ؛ وعلهم استقوه مما كتبه الكندى من قبل [٥] . ويرى الرازى طبيب الاسلام الأكبر وفيلسوفه الذى لم يدرس بعد الدرس اللائق به أن سقراط هو الفيلسوف الحق ، ويعارض به أتباع أرسطو من زملائه ومعاصريه المسلمين [٦] . ومعروف ما بين الرازى وإخوان الصفاء من صلات فى العقيدة والآراء الفلسفية والسياسية . فلسقراط إذاً أبناء وتلاميذ فى الديار الاسلامية ، كما كان له من قبل فى البلاد الأغريقية ؛ وهؤلاء التلاميذ ألصق بشيعة الاسماعيلية والمتصوفة الذين شاءوا أن ينهجوا نهج حكيم أثينا فى زهده وتقشفه ، وأن يتفانوا تفانيه فى نصرة مبادئهم

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥ — ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء I ، ٤٧

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ١٩٨

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٦٠

(٤) Madkour, La place d'al Fârâbî, p. 8—9.

(٥) اخوان الصفا ، رسائل ، ١٧ ، ٩٩ — ١٠٠ (طبعة مصر)

(٦) ماسينيو ، محاضرات غير مطبوعة بالكوليج دى فرانس ، ١٩٣٣

أما تعاليم سقراط ، وإن بدت ثانوية فى نظر مفكرى الاسلام ، فانها لم تكن مجهولة لديهم . وقد اختص الشهرستانى بايراد أكبر قدر منها فى كتابه الملل والنحل . فهو يعرض أولاً آراء سقراط الدينية والميتافيزيقية ، مبيناً ما قاله فى صفات البارئ وذاته ، ومفيضاً فى ذلك بدرجة محسوسة [١] . ثم يجاوز هذا الى الكلام عن مذهب سقراط فى المبادئ والملل [٢] ، وفى أزلية النفوس الانسانية ووجودها السابق لوجود الأبدان [٣] . وهذه الآراء المنسوبة إلى سقراط قد جاءت بنصها على لسان أفلاطون ؛ على أن العرب أنفسهم لم يستقوها إلا من مؤلفات الأخير . وهنا تعترضنا مشكلة تاريخية مشهورة ، ألا وهى أنا إن سلمنا بأن كل مارواه أفلاطون باسم أستاذه من عمل الثانى لم يبق للأول شيء وعلى العكس من ذلك إن كانت مؤلفات التلميذ تترجم عن رأيه الخاص فانا لانكاد نجد لسقراط نظرية مستقلة ؛ وقد كنا نأمل أن نحل هذه العقدة التى حار فيها المؤرخون المعاصرون على ضوء المصادر الاسلامية ، فلم نظفر فيها بما ينقع الغلة . وفى رأينا أن سقراط لم يعن بتكوين نظريات فلسفية مفصلة ، وكل مهمته أنه أشار إلى أفكار عامة تولاها أفلاطون من بعده بالدرس والتحليل

بيد أن لسقراط عملاً آخر شخصياً لاينكره عليه أحد ؛ وهو طريقته الجدلية المبنية على الاستنباط والتشكيك . بهذه الطريقة اشتهر ، وبها تمكن من قهر جماعة السوفسطائيين ، وبواسطتها أصلح كثيراً من الأخطاء الشائعة ، ومهد السبيل لتكوين الأفكار العامة . وقد وصلت هذه الطريقة إلى العرب — كما وصلت إلى المحدثين — فى ثنايا كتب أرسطو وأفلاطون ؛ ولفلاسفة الاسلام فى شرحها ومناقشتها أبحاث مختلفة [٤] ؛ فسقراط المثل الأعلى فى التضحية ، وسقراط الباحث النظرى ، وسقراط المناظر القوى الحجة قد وجد فى العالم العربى أتباعاً وتلاميذ ، بل أنصاراً ومحبذين

ابراهيم بيومى مدكور
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل (طبعة مصر بهامش الفصل لابن حزم) (III) ٢٧ — ٣١

(٢) المصدر نفسه ، ٣١ — ٣٢

(٣) المصدر نفسه ، ٣٢ — ٣٣

(٤) Madkour, L'organon d'Aristote..., p. 133.

رسالة الأزهر*

للأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
الشيخ محمد مصطفى المراغي

... قد يسأل بعض الناس : ما فائدة الأزهر ، أو ما هي رسالة الأزهر كما يقال اليوم ؟ فأقول لهؤلاء : رسالة الأزهر هي حمل رسالة الاسلام . ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الأزهر

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر ورفع مستوى الانسانية والسمو بالنفوس الى أرفع درجات العز والكرامة . قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم ، ووصل بين العبد وربه . ولم يجعل لأحد فضلاً على أحد إلا بالتقوى ، وقدس العلم والعلماء ، وقرر في غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات . وما قرره في ذلك هو منتهى ما سمت إليه الحكمة ، ووصل اليه العقل . وفرض عبادات كلها ترجع الى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الأخلاق ، وقرر التمتع بالطيبات ولم يحرم إلا الخبائث ، ووضع حدوداً تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ووضع أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين : قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامي ، ورسالة الأزهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيباً عظيماً من السعادة والخير للجمعية الانسانية

في القرآن الكريم حث شديد على العلم ، وعلى معرفة الله وعلى تدبر ما في الكون ، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق . فالدين الاسلامي يحث على تعلم جميع المعارف الحق . وليس في المعارف الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها

نعم قد توجد معارف تناقض بعض ما وضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغير ذلك ، ولكنا لا نهتم لهذا . فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين ، لكن على شريطة أن يكون ما يخالف معارفنا من العلم البرهاني المستقر

ولست أقصد بحديثي هذا أن يكون الأزهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا : ولكني أعني أن هناك علوماً ومعارف لها صلة بالدين وثيقة ، تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . فهذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه اليه

قد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضرورياً لنشرها وترغيب الناس فيها . ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة ، فقارنوا بينها تدركوا ما في طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس اليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس منها . وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفاً وأكثر قيمة وأمتن مادة ، ومع ذلك فهي في كساد

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي عنه الملل والسأم

حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضاً . وهذا المثل ينطبق علينا . ففي جميع الكتب التي تدرس في الأزهر ، وفي جميع العلوم التي تدرس في الأزهر ، اعلاق نفيسة لا تحتاج إلا الى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وهي تحقق العدالة في أكمل صورها . ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم

على الأزهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضاً حديثاً جذاباً مشوقاً

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الأزهر بها : هي تطهير الدين الاسلامي من البدع ، وما أضيف اليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . فهناك آراء منثورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ضناً بكرامة الفقه والدين

* من خطبة قيمة ألقاها في الأزهر على العلماء والطلاب

ومن الواجب أن يعترف بأن المذاهب الاسلامية جملة تغنى عن الاجتهاد فى المسائل التى عرضت من قبل متى تخير العلماء منها

وأذكر قصة طريفة تجدونها فى كتاب الولاة والقضاة للكندى :

« كان فى مصر قاض شافعى المذهب فى عصر الامام الطحاوى . وكان يتخير لأحكامه ما يرى انه محقق للعدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب . وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه وخلقه . سأل ذلك القاضى الامام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقعات . فقال الطحاوى : أتسألني عن رأيي أو عن رأى أبى حنيفة ؟ قال القاضى : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى : ظننتك تحسبنى مقلداً . فقال القاضى : ما يقلد الا عصبى أو غبى ؟ »

فتخير الأحكام نوع من الاجتهاد ولكنه الاجتهاد الذى لم يغلق الناس أبوابه

اصلاح التعليم فى الأزهر واجب اجتماعى لاصلاح الأمم الاسلامية على مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه اذا استطاع الى ذلك سبيلا

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم الى الأخلاص فى النهوض بالازهر ، فان الاخلاص فى ذلك اخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين وللدين الحق الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر

ونصيحة أقدمها إلى العلماء وطلاب العلم فى الأزهر راجياً تدبرها ، وهى احترام حرية الرأى ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر

ولا أطالب بشىء يعد بدعة . ولا أحدث فى الدين حدثاً بهذه النصيحة . فهى موافقة للقواعد التى وضعها سلف الأمة رضى الله عنهم . وترونها مبسوطة واضحة فى كتب الأصول وفى جميع كتب الامام الغزالى

وحاصلها — على ما أذكر — أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضرورى منها كالصلاة والزكاة وحرمة الزنا وشرب الخمر وقتل النفس والربا

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم فى إنكاره مطلقاً . على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضى الله عنهم ، وأجمع عليه الأئمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثّم بعضاً

وعلى الجملة فما دام المسلم فى دائرة القرآن لا يكذب شيئاً منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق قاطعة فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت لهذه النصيحة لأنها تسهل على أهل الأزهر معاشرة الناس ، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة . والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل اليه أن يهبنا رشداً ، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلال الله ، ويملأها عزاً وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الأزهر حمل رسالة الاسلام للعالم ، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات ، لغات الأمم الاسلامية وغير الأمم الاسلامية ، والله لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الأزهر القدوة ، وليرسل إلى الناس رسلاً يفقهونهم فى دينهم بلسانهم : وسأعنى بهذه المسألة كما أعنى بتثقيف إخواننا الذين أسماهم القانون « أغراباً » فان لهم من الحقوق والحرية فى هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد ، وأرجو أن يفكروا طويلاً فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

فى طريق المدينـــــة*

للأستاذ على الطنطاوى

لفح وجهه نسيم الفجر البارد، فهمّ بأن يقوم الى النافذة فيغلقها ويعود الى سريره، ثم تخاذل واسترخى، ولبث مستلقياً، فسمع أصواتاً غريبة، خيّل اليه أنها أصوات الوحوش، أو أحاديث الجنّ، فجمد من الخوف، وحدّق فيا حوله، فرأى كأنما هو نائم فى أرض الشارع، وعلى جانبيه أبنية فخمة عالية، مربعة ومستديرة، والوحوش تطلّ عليه من أعاليها، تصرخ صراخاً مرعباً، فاستعاذ بالله من هذا الحلم — وتقلب فى فراشه، وألقى بيده على طرف السرير، فأحسّ كأن قد وخزته ابرة، أو كأن حية لدغته، فقفز مذعوراً. وإذا هى الحقيقة لا الحلم، وإذا حيال يده نبت من نبت الصحراء، قصير شائك يقال له القتاد... كانت تضرب به الأمثال، وإذا هو فى البادية، فى «خور حمار» وإذا هى الرحلة تمتد به ثلاثة عشر يوماً، وهو لايزال دون (العلا)، ولايزال بينه وبين المدينة جبال وصحارى تسير فيها السيارة أياماً

فجلس يذكر مارأى فى هذه الرحلة من ألوان العذاب، وأشكال الخوف، وما مرّ به من مشاق وصعاب أبصر فيها الموت عياناً، ويئس فيها من النجاة... وذكر أنهم طالما تمنوا الموت لما وجدوا من العناء، وأنهم طالما سلكوا من شعاب تقوم فيها السيارة وتقعد، ولاتنجو من شدة إلا إلى أشد منها، وطالما ساروا فى رمال كانت تغوص فيها السيارة الى المرقاة فيدفعونها دفعاً، ويمدون لها الخشب على الأرض مداً، وطالما صعدوا جبالاً يعجز صعودها الماشى على رجليه، فكانوا يجرون السيارة بالحبال، وطالما هبطوا أودية لا يهبطها ممثلو الروايات الأميركية ... وأنهم ساروا ألفاً وثلثمائة كيل فى أرض لم تطأها قط سيارة (١) ...

وأنهم سلكوا بين تبوك والعلا مسلكاً فى جبال المطلع، ساروا فيه بالسيارة من ضحوة اليوم الى عصر الغد، فلم يقطعوا من الطريق خمسة عشر كيلاً... وكانوا يدورون فيه كما دار بنو اسرائيل فى التيه. يمشون ما يمشون ثم يعودون من حيث جاءوا، وجبال المطلع جبال عظيمة غريبة الشكل، ليست سلاسل، ولكنها آكام عالية، وجبال منفردة، عالية الذرى، محدّدة القمم، تشبه ذراها رءوس المآذن وهام البروج، لها منظر جميل فتان، فيه هيبة، وعليه جلال، وهى منثورة نثراً، تفصل ما بينها مضايق وطرق صخرية ملتوية متشابهة، حار فيها الدليل؛ وكان معهم دليل حاذق شيطان من شياطين العرب، يقال له محمد الأعرج من مشايخ بنى عطية، وهو أعرج طويل له عينا ذئب، حاد الذكاء، ضيق الصدر، مخيف، كانوا يتهيبون سؤاله، فداروا فى هذه المسالك حتى نفد منهم الصبر، وأدركهم الاياس، فصعد الدليل قنّة أكمة، فنظر يميناً، ونظر شمالاً، ثم صاح: لا إله إلا الله، وتلك عادتهم: إذا أبصروا وادياً، أو رأوا سهلاً، أو طلع عليهم جبل، تشهدوا... ثم نزل يظلع وقادهم فى طريق ملتوية حتى جاوز بهم المطلع، وأشرف بهم على السهل الفسيح. وكان عليهم أن يهبطوا السهل ليخترقوا جبل الأقرع وهو قبالتهم، فنظروا فلم يجدوا مهبطا، وكانوا على رأس جدار قائم من الصخر، ارتفاعه أكثر من أربعين متراً، والنزول منه خطر محقق، ولكن الرجوع موت أكيد، وإذا هم رجعوا وضلوا أياماً نفد فيها ما معهم من ماء، فهلكوا لامحالة عطشاً، فاستخاروا الله ونزلوا نزولاً ما نظن سيارة نزلته مذ خلق الله السيارات: تتدحرج من تحتهم الحجارة الى قرارة المنحدر، فيكون لها قرقعة مخيفة، والسيارة كأنما هى من الانحدار قائمة على مقدمها، والركاب شاخصة أبصارهم، ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم، لا يدرون من أين يأتيهم الموت وقد تابوا واستغفروا، واستودعوا الله أولادهم وأموالهم...

* كتبت هذه الكلمة فى خور حمار، وهو الممر الوحيد فى جبال الزيلقة، لابد للمسافر من دمشق الى المدينة من اجتيازه، بتنا فيه ليلة الجمعة لثمان مضين من المحرم مع الوفد الذى خرج من دمشق يوم الأحد لأربع بقين من ذى الحجة لفتح طريق للسيارات بين دمشق والمدينة برأسه سعادة الشيخ ياسين بك الرداف المعتمد السابق للحكومة الحجازية فى الشام، وهو صاحب هذا المشروع واليه يعود الفضل فيه

(١) الا سيارة صالح بن عبد الواحد أمير القريات التى سار بها من القريات الى المدينة

ومرّت عليهم ربع ساعة أهون منها رباط سنة فى جبهة الحرب ، ثم وفق الله فبلغوا السهل ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله . . . ويهبون كمن صحا من حلم مروع !

وكانت الشمس قد غابت ، والليل قد ارتفع ، فنزلوا للمبيت يستعدون لوادى الأقرع ، وكانوا على رغم ما لقوا يسمعون من الدليل أنه هيّن بجنب خور حمار ، وأن العناء والبلاء إنما هما فى خور حمار ، فكانوا يرون خور الحمار هذا فى أحلامهم ، ويبصرونه فاتحاً فاه لابتلاعهم ، ويرون حيال رأسه حجراً مكتوباً فيه : هنا مات الوفد الأول الذى ذهب لفتح طريق السيارات . . .

وتلقوا من الغد وادى الأقرع ، فلما ولجوه ذكروا بالخير جبال المطلع ، ووجدوها حيال نار الأقرع جنة النعيم ، والوادى عريض فسيح ولكنه وعر ، كله صخور عظيمة ، ورمال خطرة ، إذا نجت السيارة من رملة صدمتها صخرة ، وان خلصت من الصخر غاصت فى الرمل ، فداروا فيه كما يدور الحمار فى الساقية ، وكان سيرهم سير السواق ، سفراً لا ينقطع . . . . ثم فتق لهم التفكير وجه الحيلة ، فأجمعوا الرأى على أن يركبوا السكة بالسيارات وعجبوا من أنفسهم كيف حملوا هذا العناء كله ، ولم يهتدوا إلى هذا الرأى . . . وكانت السكة عالية تمشى فوق الوعرة كأنها الصراط ممدوداً فوق جهنم ، فامضوا ساعتين فى ارتقائها ، ثم لما ركبوها تعذر المسير عليها ، فعجبوا من أنفسهم كيف ارتكبوا هذه الحماقة ، ولم يعلموا أن السيارة لا تمشى على سكة القطار ، وأنفقوا ساعتين أخريين فى النزول عنها ، حتى إذا نزلت جلسوا على الأرض وقد طحن الجهد أجسامهم ، وملأ اليأس نفوسهم ، وانقطع أملهم من كل شىء إلا من الله ، وضل من يدعون إلا إياه ، فاقبلوا على الله بالدعاء والاستغفار ، وذاقوا من حلاوة الايمان وبرد اليقين ، ما اطمأنت به نفوسهم ، وارتاحت له ضمائرهم ؛ ثم لم يلبثوا أن استجاب الله دعاءهم ، وجاءهم منه الفرج ، وسمعوا هتاف الجند الذين بعث بهم أمير العلا بأمر جلالة الملك عبدالعزيز لمونتهم وخدمتهم . . .

***

جلس يفكر فى هذا كله ، فيراه هيناً إذا قيس بخور حمار وذكر كيف أمضوا نهاراً بطوله ، يستعدون لدخول الخور ، فلما أقبلوا عليه رأوا مدخله كالشارع العظيم ، على جانبيه صخور كبيرة مكعبة مستوية قائمة كالبنيان ، كأنما قد بنتها يد بناء حاذق ، بميزان الزئبق والشاقول ، وفى وسطها جدار من الصخر عرضه ستة أمتار ، يشبه فى شكله سفينة عظيمة لم تنزل بعد إلى البحر ، لها مقدمها وجوانبها ، وقد قدر أصحابنا علو هذه الصخور من مائة إلى مائة وخمسين متراً ، فامتلأت نفوسهم رهبة وخشوعاً ، وأحسب أن لو رأى هذا الممر سياح الأمريكان لحملوا فى سبيل رؤيته عناء السفر فى البادية مهما طال وشق . . .

وأرض هذا المضيق رملية حمراء يغوص فيها الماشى إلى الركبة ، لها شكل متموج جميل يشبه شكل البحر ، يلذ المرء أن يلقى بنفسه عليها ، فيشعر كأنما يلقى بنفسه على فراش ناعم حلو . أو ينام على سطح الماء . . .

وذكر كيف انقضى النهار وانقضى الغد ولم يجاوزوا نصف المضيق ، ورفع رأسه وكان الفجر قد انبلج ، وبدت طلائع النهار ، فرأى هذه الصخور الشاهقة المستوية ، وهذه الشقوق التى تحدث فيما بينها مثل الأزقة ، يملأ مرآها النفس خشوعاً

وذكر كيف بذلوا جهدهم ، واستعانوا بعشرين من الجنود الأقوياء ثم لم يقطعوا فى يومين أكثر من كيلين فى هذا المضيق ، وخالط نفسه الضيق والملل من طول هذه الرحلة وعنائها وما قاسى فيها من التعب والجوع والعطش والنعاس ، وما عانى من سوء الصحبة ، وقبح الأخلاق ، وخاف أن تعطل السيارة ، أو يضلوا الطريق ، أو تمسكهم وعرة ، فينفد الماء ويموتوا عطشاً .. ولم يخف لصاً ولا سارقاً ، فقد جعل ابن السعود خور حمار وهو أفظع مكان فى البادية ، آمن من ميدان النجم فى باريز !

وفكر أيبلغ المدينة أم يهلك من دونها ، وهاجه تصور المدينة ، وأحيا فى نفسه الأمل مرأى القبة الخضراء وهى طالعة عليه من وراء الأفق البعيد ، وطار بها إلى الملأ الأعلى تخيله الوقوف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلاته فى الروضة ، وقيامه من بعد أمام الكعبة ، وشربه من ماء زمزم ، وسعيه بين الصفا والمروة ، وشهوده هذه الأماكن التى ولد فيها الاسلام

وعاش فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت مهبط الوحى ، ومطلع شمس النبوة ، ومعقد الآمال من نفس كل مسلم

واستغرق فى تفكيره فلم ينبهه إلا صوت مؤذن القوم يرنّ فى هذا الوادى الساكن : الله أكبر ، لا إلــه إلا الله ، فتردد نداءه هذه الصخور الشم . وتمد الابل أعناقها مصيخة هادئة ، ويهب البدو من منامهم ليقيموا الصلاة ، وأصحابنا السواقون ومعلموهم يغطون غطيط البَـكر . . .

ثم قاموا إلى الصلاة ، فامحى الخوف من نفسه ، وصغرت عليه البادية ، وهانت عليه مشاقها ، وتضاءلت هذه الجبال القائمة حتى كأنما لصقت بالأرض ، وكأنما طويت له الغبراء فلم يبعد ماتى فى البادية على بعد ألف وثلثمائة كيل من منزله فى دمشق كحبة من الرمل ، أو هو أهون على الحياة منها ، لأنها وان طار بها ريح ، أو حملها سيل ، باقية كما كانت ، لا تموت ولا تندثر ، وهو يموت من أجل رغيف من الخبز وكأس من الماء ، بل أحس كأنما هو فى منزله ، ولم لا ؟ وما يناله فى البادية إلا ما قد كتب عليـه ، ولا ينال فى منزله إلا ما كتب له ، وإذا كان يأمن على نفسه اللصوص والأعراب ، وينام فى عرض الصحراء ، كما ينام فى أرض غرفته ، لا يمنعه باب ، ولا يحميه حارس ، ولا يخالط نفسه خوف ولا جزع ، لأنه فى حمى ابن السعود وأرضه ، أفلا يأمن من كان فى حمى الله رب ابن سعود وأرضه ؟

وكان القوم قدهبوا فأقبلوا يضمون الشاى والقهوة ، وجلست حيال صخرة أكتب هــذه الكلمة « للرسالة » ، لأبعث بها مع جندى من البدو إلى بريد العلا . . . . ولست أدرى أنخرج من هذه البادية فنقرؤها ، أم تبتلعنا هذه الصحراء التى ابتلعت دولاً وأمماً وجيوشاً

وسـيقرأ هذا الفصــل قراء « الرسالة » وهم فى دورهم ومساكنهم ، لا يدرون ما الصحراء ، ولا يعرفون منها إلا ذكرها فى الـكتب ووصفها فى الأسمار ، فيحسبونها تسلية أو خيالاً ، وما هى بالتسلية ولا بالخيال ، ولـكنه مقام بين الموت والحياة ...

اللهم سلم !

على الطنطاوى

هل تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى ؟

أو الحقيقة هى العكس ؟

بقلم صالح بن على الحامد العلوى

اطلعت فى العدد الحادى والتسعين من « الرسالة » الغراء على مقالين أحدهما للأستاذ أمين الخولى ، والآخر للأستاذ على الطنطاوى ؛ وكلا المقالين دائر على مقال آخر قد نشرته الرســالة عن الامام الأوزاعى للأديب الفاضل عبد القادر الجاعونى

ولم يستثر كتابتى من هذا ولا ذاك شئ إلا نقطة واحدة طرقها الثلاثة وكانوا فيها جد مختلفين ، وكادت بل شاءت الرسالة أن تساهم فى المعمعة ولـكن بايجاز وإيماء . والنقطة المختلف فيها هى ما جعلته عنواناً لأسطرى هذه وهى : هل تأثر الفقه الاسلامى بالقوانين الرومانية أم الحقيقــة هى العكس ؛ إذ تعرض الـكاتب الجاعونى فيما كتبه عن الأوزاعى لقولة كولد زهير بتأثر الفقــه الاسلامى بالفقه الرومانى وقال : (إن كان هذا صحيحاً فأحر بالأوزاعى أن يكون آخر المتأثرين به لأنه من أبعد الفقهاء عن الرأى ومن أقربهم إلى اتباع الـكتاب والسنة ، والـكتاب والسنة أبعــد الأشياء عن التأثر بالفقه الرومانى) فـكان الأستاذ الخولى فيما كتبه مؤيداً لرأى تأثر الفقه الاســلامى بغيره ، وكان الأستاذ على الطنطاوى فى مقاله منكراً كل الانـكار أن يكون الفقــه الاســلامى مأخوذاً من الفقه الرومانى ، وتشاء الرسالة أن تعلق عليه بأن هناك فرقاً شديداً بين التأثر والأخذ

وعلى تسليم صحة الفرق بين التأثر والأخذ فمحصل كلام الأستاذ الطنطاوى إنـكارهما معاً والجزم بأن ذلك فى زمن العــلم خرافة من الخرافات

هــذه هى وجهات نظر هؤلاء الـكتاب . ومهما قلنا بالفرق بين الأخذ والتأثر فـكلا المعنيين يجريان إلى مدى واحد ، وهو أن يكون فى أصل الفقه الاسلامى ومزاجه شئ من الفقه الرومانى .

غير أنه على الأول بوجه مباشر ، وعلى الثانى بواسطة الثقافة كما يقول الأستاذ الخولى

وموضوع مناقشتى الآن هو ما ارتآه الأستاذ أمين الخولى — من تأييد دعوى كولدزهير بأن الفقه الاسلامى متأثر بالفقه الرومانى . وقد كنت فى غُنية عن كتابة هذه الأسطر لو كان الأستاذ على الطنطاوى — الذى أؤيده الآن — أسهب فى الموضوع ووفاه حقه من البسط والتدليل ، لكنه على قوة حجته نحا فى الموضوع منحى الايجاز والاختصار ، وذاك ما حملنى على أن أعود — على بعد الدار — للفت أنظار قراء الرسالة للموضوع مرة أخرى ، وبما أن مثار مناقشتى إنما هو ما كتبه الأستاذ الخولى أذكر أولاً ما قاله فى هذا الصدد قال : (. . ومع عدم تعصبى للقول بهذا التأثر ومع القصد فى بيانه فانى أرى هذا الاستدلال على عدم تأثر الأوزاعى غير مقبول من الوجهة الاجتماعية والنفسية ، فان متبع الكتاب والسنة لابد له من أن يفهمهما أو يتبين مراميهما وأغراضهما وعللهما وحكمهما ، ولكل شخص فى هذا الفهم والتبين عقله الخاص وشخصيته الخاصة ومنهجه الخاص ، وذلك كله من أشد ما يكون تأثراً بالثقافة والبيئة ، فلا غرابة فى أن يتأثر منهم الفاهم للكتاب والسنة المتبع لهما تأثراً جلياً بعوامل تثقيفه وظروف حياته كما تأثر بذلك تفسير القرآن فى كل الأزمنة ، بل كما تأثر بذلك فهم العقائد وأصول الدين ذاتها تأثراً لا يسعنا إنكاره ، ولا قيمة لحرصنا على هذا الانكار لأننا بذلك نقاوم سنن الله فى خلقه)

وقبل كل شى نقول إن الاسلام فى ذاته جاء خارقاً لقاعدة البيئة والثقافة ، إذ قام النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو النبى الأمى الذى نشأ من أبعد الناس عن أن يطلع على قانون رومانى أو حكمة منقولة ، وأتى بهذا الدين الأقدس مناقضاً كل التناقض لما عليه قومه ، مبايناً لهم فى عاداتهم وعقائدهم إذ وجد فى وسط بعيد عن العلم ، ودرج فى بيئة كلها شرك ، وجو كله خرافات وأوهام ، وبينما هو فى هذا المحيط المشبع بالشرك والجاهلية إذا هو ينهض بدين كله حكمة ، ونور يسفه الشرك وينبذ الخرافات ، ويدعو الى شريعة سمحة بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

ورداً على زعم التأثر نقول : إن الشريعة الاسلامية وجدت كاملة دفعة ، أو بعبارة أصح جاءت فى زمن واحد ، واستقيت من ينبوع واحد ، هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد حكم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الجزيرة العربية الى العراق وأطراف الشام ، ولم يلحق الشارع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى إلا وقد تركنا على المحجة البيضاء ، وهيأ لنا شريعة كاملة وقانوناً ربانياً منظما يصلح لأن يطبق على أى جيل ، وعلى أية أمة ، ولم يزد فيه الفقهاء بعده شيئاً قط إلا تصنيفه ونقله ، غير أنهم فيما لم يجدوا فيه نصاً صريحاً يطبقونه على قواعده الأساسية . والنصوص الفقهية كلها صريحة بينة الأغراض واضحة المرامى ، أما الأغلب منها فمن الحديث والسنة ، وبعضها عن الكتاب مفسراً بالسنة ، فكيف يكون لكل شخص فيها فهمه الخاص وشخصيته الخاصة ومنهجه أو عقله الخاص ، متأثراً بالثقافة والبيئة كما يقول الأستاذ الخولى ؟ إن الكلام الصريح لا يحمل معنى غير ما يتبادر لذهن سامعه ، فاذا قلت مثلاً : لا تكذب فليس معناه الا لا تخبر بغير الواقع ، سواء كان ذلك فى القرن الأول للهجرة أو فى يومنا هذا فى القرن الرابع عشر ، وسواء أكان السامع متأثراً بثقافة عربية أو رومانية أو صينية فان يستطيع بعامل ثقافته وظرف حياته أن يزيد فى معناها شيئاً ، وأرى أننا لو نقلنا خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع مثلاً ونشرناها اليوم لما فهم منها من يعرف مدلولات الكلام العربى من مثقفى اليوم إلا ما فهمه عشرات الألوف من المسلمين حينما خطبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك الموقف الرهيب قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف

ولا يجوز أن يقاس الفقه بالتفسير ، إذ لا يقاس بكتاب الله شىء لبلاغته وأسلوبه المعجز ، مع عمق معانيه وبعد أغراضه التى لا يستطيع حصرها واكتناهها فهم أو فكر ، وهذه فيه من أعظم الدلالات على إعجازه ، فهو لا يزال على الأحقاب والأجيال ينفحنا بمعانيه ومراميه بما يشرح الصدور ويقوى الايمان

على أن الاختلاف فى تفسيره وهو ما يراه الكاتب من تأثير البيئات — ليس إلا لا عجازه المعجز مع بعد مراميه الغيبية مما تاه لبعضه المفسرون الأولون ، فجاء الزمن يفسره ، فكان هذا

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

ثم إن الفقه الرومانى الحديث على رغم أنه اختفى ثم اكتشف لم يظهر ولم يعمل به إلا فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر بعد الميلاد . أما قبل الحادى عشر فانه لم يكن معروفاً حتى عند الرومان أنفسهم

ولا شك ان الفقه الاسلامى قد قرر وصنف قبل ظهوره بقرون ، فكيف يكون متأثراً بشىء لما يوجد بعد ؟ وما قيمة زعم تأثر الفقهاء بالقوانين الرومانية إذا كان مصنفو الفقهاء وأئمتهم ، ومنهم مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة والثورى والأوزاعى الخ درسوا وألفوا وصنفوا قبل أن توجد أو تعرف القوانين الرومانية للرومان أنفسهم ؟ أليست هذه مهزلة مضحكة ؟

ونحوى هذا كله أنه محال أن يكون الفقه الاسلامى متأثراً بالفقه الرومانى فضلاً عن أن يكون مأخوذاً منه ، وسنبين بالبراهين القاطعة أن القوانين الرومانية هى المتأثرة به

الفقه الرومانى هو المأخوذ من الفقه الاسلامى

وإذا سقط احتمال تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى ، فاذا كان هناك تشابه بينهما فالمرجح بل المحقق أن الفقه الرومانى هو الذى أخذ مباشرةً عن الفقه الاسلامى . وقد كتب أحد علماء العلويين الحضارمة مقالاً فى هذا الموضوع وفاه حقه بعنوان : من أين أخذ الأفرنج قوانينهم ، نشرته مجلة النهضة الحضرمية قال فيه ما ملخصه :

إن دعوى اختفاء الفقه الرومانى ثم ظهوره بعد ستة قرون أكذوبة لامرية فيها ، وقد كان الفقه الرومانى معروفاً ، وهو أشبه شىء بالفصول المضحكة . أنظر تاريخ الدولة الرومانية للعالم جيبون الجزء ٤ صفحة ٥٢٧ ، وذكر أمثلة من معاملاتهم ثم قال : بمثل هذه المحاكات القاسية كانت تجرى الأحكام لغاية القرن الحادى عشر ، ولم تتبدل إلا فى الثانى عشر أو الثالث عشر . وقد قال ابن تيمية فى القول الصحيح : (إن النصارى فى طائفة من بلادهم ينصبون لهم من يقضى بينهم بشرع المسلمين إذ لم يكن لهم شرع عام يحكم به بين الناس ، وليس فى الانجيل حكم عام ، بل عامته الأمر بالزهد)

فكيف يصح أن ينسب هذا الفقه المشابه للفقه الاسلامى الحكيم بزعمهم الى أمة معروفة ، ولها فقه شائع معروف ، وكله قسوة وهمجية ؟ وكيف يسوغ عقلاً لأمة عظيمة أن يضيع عليها فقهها جملة ، ويبقى غائباً عنها طيلة قرون عديدة ثم يعود الى الظهور ؟ هل يصح هذا إلا إذا صح أن تضيع عن أمة عاداتها وأخلاقها ودينها جملة ؟

ثم إن حكاية اختفائها وبروزها فى القرن الحادى عشر لم يقل بها غير هولود نيكوس سنة ١٥٠١ م . ثم راجت ، انظر جيبون ٤ صفحة ٥٥٥ ، وقد اعتبرها بعض العلماء إذ ذاك غير حقيقة ، فقد قال القانونى الشهير سافينيه : إن القوانين الرومانية لم تختف لأنها ظلت معمولاً بها الى اليوم من غير انقطاع اه . ويعنى بها القوانين القديمة المتقدم ذكرها . وبهذا وذاك تدحض دعوى اختفاء الفقه الرومانى ثم ظهوره . ويتضح أن القوانين الحديثة ليست إلا حديثة الوضع ، وضعها بعض علمائهم مقتبسةً من الفقه الاسلامى وتبريراً لها عند العامة انتحلوا اختفاءها وظهورها كسراً لتعصبهم

أما أدلة أخذ القوانين الرومانية من الفقه الاسلامى فهى :

(أولاً) ما قدمنا من إقرار الأفرنج بفضل الفقه الاسلامى وإعجابهم بأحكامه ، ونصبهم فى بعض بلادهم قضاة يقضون به كما نقل ذلك العلامة ابن تيمية

(ثانياً) إن الفقه الاسلامى ، كما قدمنا ، قد ألف وصنف قبل أن تبرز القوانين الرومانية الحديثة من اختفائها المزعوم ، فلم يبق بد من أحد أمرين : إما أن يكون الفقه الاسلامى قد تأثر بها قبل وجودها وظهورها ، وهذا محال ، أو تكون هى المأخوذة عن الفقه الاسلامى ، وهذا هو المعقول والمنقول

(ثالثاً) ما نقله العلامة العلوى الذى اعتمدنا على ما كتبه فى مقالنا هذا قال : نقل العلامة المحقق الأستاذ الجرفادقانى الايرانى فى مقالة له فى هذا الموضوع عن مجموعة للعالم الباحث مفضل بن رضى الفراوى الاسفارنكى (وفراوة كورة من خراسان بين

شهرستان ومرو) فيها رسالة فى شرائط كمال الفقه للفتوى قال : كتب أبو العباس الكركرى من تلامذة بهمنيار ، وهو تلميذ الشيخ الرئيس ابن سينا ، فى رسالته الى مفتى مرو أحمد بن عبد الله السرخسى فى معنى كمال الفقه : إن أبا الوليد محمد بن عبد الله بن خيرة نقل فى تعليقاته على النهاية : إن طلبة العلم من الأفرنج الذين كانوا يسافرون الى غرناطة لطلب العلم ، اهتموا كثيراً فى نقل الفقه الاسلامى الى لغتهم لعلهم يستعملونه فى بلادهم لرداءة الأحكام فيها خصوصاً فى المائة الرابعة والخامسة من الهجرة ، فقد برعوا فى اللغة العربية ، ومنهم غربرت والبرت ، فانهما طلبا مساعدة العلماء لابراز مقصودهما ، وقد ساعدوهما حتى دونوا الفقه كاملاً وحوروه الى ما يوافق بلادهما اه ، وقال موسهيم الجرمانى : إن غربرت المذكور كان مديناً فى معرفته لعرب أسبانيا ثم قال : (إن العرب ولا سيما عرب أسبانيا هم أصل وينبوع كل معرفة . . من القرن العاشر فصاعداً) كما نقله الأستاذ العلوى المذكور آنفاً

هذه البراهين كلها تؤيد ما قاله الأستاذ على الطنطاوى من أن الفقه الرومانى جديد لفقه جماعة من العلماء وتحقق أنهم أخذوه من الفقه الاسلامى ، وهذا ما يجب ألا يعتقد خلافه كل مسلم

ولست أرى دعوى تأثر الفقه الاسلامى بالفقه الرومانى إلا مكيدة دبرها من يريد الطعن فى الاسلام بطريق غير مباشر مثل كولدزهير وأمثاله ، وتلقفها عنهم منا معشر المسلمين من لم يدرك مراميهم السيئة وأغراضهم العدائية ، وجعل يقررها كأنها قضية مسلمة لا تصادم عقلاً ولا ديناً ؛ وعجيب جداً أن تجد هذه الفكرة لها قبولاً فى مصر . وأن تطبع وزارة الأوقاف كتاباً فى الفقه على المذاهب الأربعة يأتى فى مقدمته تقرير هذه الفرية التى انتحلها كولد زهير وتأييدها ؛ وعجيب أن يأتى الأستاذ الخولى مستسيغاً لها بل مبرهناً ومؤيداً مطبقاً ذلك على قاعدة تأثير الثقافة والبيئة

وبعد ، فلم يبق مساغ لدعوى التأثر فى الفقه الاسلامى ، ولا مجال للريب فى بطلانها ، وأنها ليست إلا خرافة وفرية تلقفها بعض المسلمين ، وليست الا أغنية من تلحين مستشرقى المبشرين

سنغافورة — صالح بن على الحامد العلوى

٢٢ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

قال سقراط : كفى يا سيبيس حديثاً عن هارمونيا (١) ؛ آلهتكم الطيبية ، فما أحسبها قد أغلظت معنا الصنيع ، ولكن ماذا أقول لكادموس الطيبى ، وكيف أسترضيه ؟

قال سيبيس : أظنك واجداً سبيلا الى استرضائه ، فلست أرتاب فى أنك رددت حديث الانسجام بطريقة لم أكن أتوقعها قط . فقد أيقنت حينما تقدم سمياس باعتراضه أن ليس الى اجابته من سبيل ، فأدهشنى لذلك أن أرى قوله يخور فلا يثبت أمام هجمتك الأولى ، وليس بعيداً أن يلاقى الآخر ، الذى تدعوه كالدوس مصيراً كهذا المصير

فقال سقراط : لا يا صديقى العزيز ، فما ينبغى أن نُزهى خشاة أن تنطلق من عين خبيثة هذه الكلمة التى أوشك أن أنطق بها ، فلنا أن ندع الأمر بين أيدى من هم فى عليين ، حتى أدنو ، على طريقة هومر ، فأختبر ما يتوقد فى عبارتك من حماسة ، وخلاصة اعتراضك باختصار هى ما يأتى : انك تريد أن يقام لك الدليل على أن الروح باقية خالدة ، وتظن أن الفيلسوف الذى يطمئن الى الموت إنما يركن الى طمأنينة فارغة حمقاء ، إذا هو ظن أنه سيكون فى العالم السفلى أوفر جزاء ممن سلك فى حياته سبيلا أخرى ، مالم يستطع أن يدلل على ذلك ، وأنت تزعم أن اثبات ما للروح من قوة وألوهية ، واثبات وجودها السابق لوجودنا فى هيئة البشر ، لايقتضى بالضرورة خلودها . فاذا سلمنا بأن الروح قد عمرت طويلا ، وأنها فى حالتها الأولى علمت وعملت شيئاً كثيراً ، فليس هذا الاعتبار دليلا على خلودها ، وقد يكون

(١) Harmonia الاهة فى طيبة ، ويظهر أن لفظة harmony الأفرنجية ومعناها الانسجام قد اشتقت منها

حلولها فى الصورة البشرية ضرباً من الموت الذى هو ابتداء الانحلال ، وقد تنتهى آخر الأمر الى ما يسمى بالموت ، بعد أن تفرغ من عناء الحياة . وسواء أكانت الروح تحل فى الجسد مرة واحدة فقط أم مرات عدة ، فذلك ، كما قد تقول ، يخفف من مخاوف الأفراد شيئاً ، فليس يخلو انسان من الشعور الطبيعى ، فان لم يكن لديه عن خلود الروح علم وبرهان حق له أن يخاف . ذلك ما أحسبك قائله ياسيبيس ، وهو ما أعيده عامداً ، حتى لايفلت منا شيء منه ، ولكى تستطيع إن شئت أن تضيف اليه أو تحذف منه شيئاً

فقال سيبيس : ولكنى ، فيما أرى الآن ، لا أجد ما أضيفه أو ما أحذفه . إنك عبرت عما أريد

فسكت سقراط هنيهة ، وبدا عليه كأنما غاص فى تأمله ، وأخيراً قال : إن هـذا المبحث الذى أثرته ياسيبيس لذو خطر عظيم ، فهو يتضمن موضوع النسل والفساد برمته ، وذلك ما أود ، إن شئتم ، أن أقدم لكم فيه خبرتى . فخذوها إن رأيتم فيما أقول شيئاً يعين على حل إشكالكم

فقال سيبيس : لشد ما أرغب فى أن أنصت لما تقول

قال سقراط : إذن فهاك حديثى يا سيبيس : لقد كنت فى صباى شديد الرغبة فى معرفة ما يسمى بالعلم الطبيعى من أبواب الفلسفة ، فقد ظننت أن له أغراضاً سامية ، إذ هو العلم الذى يبحث فى علل الأشياء ، فينبئنا لماذا وُجد الشيء ، وفيم خَلْقُه وفناؤه ، وكنت لا أني أقلق نفسى بالنظر فى مسائل كهذه : هل يرجع نمو الحيوان إلى انحلال يجيء به عاملا الحر والبرد كما يقول بعض الناس ؟ أيكون المنصر الذى نفكر به هو الدم أم الهواء أم النار ؟ أم قد لا يكون شيئاً من هـذا القبيل ؟ — فربما كان المخ هو القوة التى تبتدع أحاسيس السمع والبصر والشم ، وقد تنشأ عن هذه الأحاسيس الذاكرة والرأى ، وعلى الذاكرة والرأى قد يُبنى العلم ، ولكن إذا وقفت فيهما الحركة وأدركهما السكون ؛ وبعدئذ مضيت أختبر انحلال الأحاسيس ، وأتناول بالبحث أشياء الأرض والسماء ، واستخلصت أخيراً أننى عاجز كل العجز عن هذه المباحث ، وعلى ذلك سأقيم لك الدليل قاطعاً .

فقد فُتنتُ بها إلى درجة عميت معها عيناى أن ترى الأشياء التى كنت أحسبنى ، ويحسبنى الناس ، عالماً بها علم اليقين ؛ وقد أنسيت ما كنت ظننته من قبل بديهياً لا يحتاج إلى دليل ، وهو أن نموّ الانسان نتيجةُ الأكل والشرب ، لأنه بهضم الطعام يجتمع لحم إلى لحم وعظم إلى عظم ، وحيثما تجمعت عناصر متجانسة كبر الجرم الضئيل ، وعظم الانسان الصغير . ألم يكن ذلك رأياً معقولاً ؟

قال سيبيس : نعم أظن ذلك

حسناً ، دعنى أنبئك شيئاً آخر ، فقد مرّ بى زمن كنت فيه أحسب أنى أفهم معنى الأكبر والأصغر فهما جيداً ، فاذا أبصرت رجلاً ضخماً واقفاً إلى جانب رجل ضئيل ، توهمت أن أحدهما أطول من الآخر قيد رأس ، أو أن حصاناً كان يلوح لى أنه أكبر من حصان آخر ، بل أوضح من ذلك أننى كنت فيما يظهر أحسب العشرة تزيد على الثمانية باثنين ، وأن ذراعين أكبر من ذراع واحدة ، لأن الاثنين ضعف الواحد

قال سيبيس : وماذا أنت اليوم قائل فى مثل هذه الأمور ؟

ـ فأجاب : كان ينبغى أن أنأى بنفسى بعيداً عن توهم أننى أعلم لأيّها سبباً ؛ حقاً كان ذلك ينبغى ، فلست أستطيع أن أقنع نفسى بأننا لو أضفنا واحداً إلى واحد صار الواحد الذى جاءته الاضافةُ اثنين ، أو أن الوحدتين مضافتين معاً تساويان بسبب الاضافة اثنين ، فلست بمسيغ كيف أنه إذا انفصلت إحداهما عن الأخرى كانت واحداً لا اثنين ، ثم إذا تلاقيا ، فقد يكون مجرد التقارب بينهما سبباً فى أن تصبحا اثنتين : هـذا ولست أفهم كيف تكون قسمة الواحـد سبيلاً للحصول على اثنين ، لأنه عندئذ تكون النتيجة الواحدة ناتجة من سببين متباينين — ففى المثال الأول نشأ اثنان من جمع واحد إلى واحد وتقاربهما ، وفى الثانى كان السبب هو انفصال واحد عن واحد وطرحه منه (١) .

ولست مقتنعاً بعد ذلك بأننى أفهم لماذا يتولد الواحد ، أو أىّ شيء آخر ، ولماذا نزول ، بل ولماذا يكون إطلاقاً . إننى لن

(١) يعنى أننا يمكن أن نقسم الواحد نصفين فيكون لنا بذلك اثنان . كذلك يمكن أن نضم واحداً الى واحد فيكون لنا بذلك اثنان أيضاً . فكأن الاثنين تنتج عن علتين مختلفتين

أسلم بهذا قط وإنى لأتمثل فى ذهنى فكرة مهوشة عن طريقة أخرى

ثم استمعت إلى رجل كان عنده كتاب أنا كسجوراس ، كما قال ، وطالع فيه أن العقل هو المصرّف والعلة لكل شىء ، ولشد ما اغتبطت لذكر هذا الذى كان باعثاً على الاعجاب . وقلت لنفسى : إذا كان العقل هو المسيّر فانه سيسير بكل شىء إلى الصورة المثلى ، ويضع كل شىء أحسن موضع ، وزعمتُ أن من يرغب من الناس فى استكشاف علة تولد أى شىء أو زواله أو وجوده ، فعليه أن يرى كيف تكون الصورة المثلى لذلك الشىء من حيث وجوده وسعيه وعمله ، لذلك كان لزاماً على المرء ألا يضع نصب عينه إلا الحالة المثلى بالنسبة إلى نفسه وإلى الناس ، ثم عليه بعد ذلك أن يعلم الأسوأ أيضاً ، فالأمثل والأسوأ يحويهما علم واحد . وسرنى ما ظننت أنى واجد فى أنا كسجوراس من يعلمنى ما وددت أن أعلم من أسباب الوجود ، وخيل إلى أنه منبئى أول الأمر عن الأرض أمسطحة هى أم كرية ، وأنه باسط لى بعد ذلك علة هذا وضرورته ، وأنه معلمى طبيعة الأمثل ومظهرى على أن الأمثل إنما هو هذا (١) ، فان زعم أن الأرض قائمة فى المركز شرح كيف أن هذا هو الوضع الأمثل ، وكنت سأقتنع به لو بين لى ذلك ، وما كنت لأقتضيه غير ذلك سبباً ، وحسبت أننى قد ألتمسه بعد ذلك فأسائله عن الشمس والقمر والنجوم ، فيشرح لى سرعتها المقارنة ، ونكوصها ومختلف حالاتها ، وكيف أنها تتجه بميولها المتعددة ، القابلة منها والفاعلة نحو الأمثل دائماً ، وما كنت أتصور أنه إذا ما تحدث عن العقل باعتباره مصرّفاً لها ، يعلل وجودها على هيئتها الراهنة بغير علة أن هذه هى الصورة المثلى ، وظننت أنه بعد أن يفرغ من الشرح المفصّل لعلة كلٍّ منها وعلتها جميعاً ، سيمضى يبين لى الحالة المثلى لكل منها ولها جميعاً . لقد تناولت الكتب متلهفاً لأعلم أمر الأمثل والأسوأ ، فتلوتها مسرعاً ما استطعت إلى السرعة سبيلا ، وقد رجوت آمالاً لم أكن لأبيعها بكثير

(يتبع) زكى نجيب محمود

(١) أى أنه اعتقد أنه سيجد فى نظرية أنا كسجوراس البراهين الكافية على أن الكون فى صورة مثلى ، فسقراط لا يطلب تعليلا لظواهر الكون انه هو اعتقد بحق انها فى أوضاع مثالية ، فتلك عنده غاية تكفى وحدها أن تكون هدفا أقصى

فى الأدب الفرنسى المعاصر

رومان رولان

Romain Rolland

بقلم على كامل

تتمة

فى (النهار الجديد) La Nouvelle Journée (١٩١٢) وهو آخر جزء من قصة (جان كرستوف) كتب رومان رولان يقول: (إن أوربا الآن توحى للناظر كأنها فى ليلة حرب) . كتب ذلك قبل أن تعلن الحرب بعامين . وعندما اندلعت الشرارة الأولى عام ١٩١٤ كان رومان رولان فى سويسرا . فكان بعده عن وطنه مساعداً له على أن يكون حر الرأى بعيداً عن التأثر بضروب الدعاية المختلفة التى كان يصيح بها ساسة الدول المتحاربة - ومنها فرنسا - تبريراً للحرب وحثاً للناس على خوض غمار القتال (كانقاذ المدنية) أو (الحرب من أجل السلام الخالد) إلى غير ذلك من الأقوال

ومنذ التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٩١٤ شرع رومان رولان يكتب سلسلة مقالات فى (جريدة جنيف) Journal de Jenéve بدأها بخطاب مفتوح إلى الكاتب الألمانى هوبتمان Hauptmann مستنكراً الوحشية الألمانية التى أحرقت بلدة (لوفان) البلجيكية . وقال فيه : (كثير منكم أن يبدو ذلك العنف الذى تعاملون به هذه الأمة الكبيرة النفس - يقصد بلجيكا - التى لا ذنب لها إلا الاستماتة فى الدفاع عن استقلالها وعن الحق كما فعلتم أنتم الألمان عام ١٨١٣ . . . ! احتفظوا بهذه القسوة لنا نحن الفرنسيين أعداءكم الحقيقيين . أما أن تتحمسوا ضد ضحاياكم ، ضد ذلك الشعب البلجيكى الصغير السىء الحظ البرىء . فياله من عار !) ثم يقول : (ولم تكتفوا بأن تأخذوا البلجيك الحية ، فأعلنتم الحرب على الأموات ، على مجد القرون ، فأمطرتم (مالين) بالقنابل وأحرقتم (روبان) ، وأصبحت لوفان تلاً من الرماد ، لوفان بكنوزها الفنية وعلمها ، لوفان المدينة المقدسة ... هل تحاربون الجيوش أم الفكر الانسانى ؟ اقتلوا الرجال لكن احترموا الأعمال الفنية ، إنها تركة الجنس البشرى الذى أنتم منه

والذى نحن جميعاً الأمناء عليه . إنكم حين تحطمونه كما تفعلون الآن تثبتون أنكم غير جديرين بذلك التراث العظيم)[١]

وفى مقالته الثالثة (فوق المعركة) Au - dessus de la mêlée التى أطلق عنوانها على مجموعة المقالات حين جمعها فيما بعد، نسمع رومان رولان يوجه اللوم الشديد إلى قادة الرأى العام والرؤساء الدينيين والمفكرين والخطباء الاشتراكيين قائلاً : (بين أيديكم ثروات حية ، كنوز من البطولة ، فماذا فعلتم بها ؟ لقد وجهتموها إلى الصراع والموت !) ثم تراه يظهر استنكاره المرير من أن تنتقل شهوة رجال السياسة إلى رجال الفكر فتتولد بينهم العداوة (فيصبح أوكِنْ ضد برجسون ، وهوبتمان ضد مترلنك ، ورولان ضد هوبتمان ، وولز ضد برناردشو . كما يتغنى كبلنج ودانونزيو ودو رينييه وبارس ومترلنك بأغانى الحرب والقتال . بينما يطالب الفيلسوف الشيخ فَندِتْ - الذى بلغ من العمر الثانية والثمانين - بصوته المحطم من طلبة جامعة ليبزج الاشتراك فى « الحرب المقدسة »)

وفى هـذا المقال أيضاً صرح رولان أن أعظم هيئتين خانتا مهمتهما وظهرتا بمظهر الضعف أثناء الحرب هما (أولاً) المسيحية : أى السلطة الدينية (وثانياً) الاشتراكية . إذ أن كلا من هاتين الهيئتين من أول مبادئهما الدعوة إلى السلام العالمى والأخاء بين الشعوب . لهذا كان تأييدهما للحرب وقبولهما دخول سعيرها انكاراً لايليق لمبادئهما السامية . (فهؤلاء الاشتراكيون الذين لم يجدوا فى نفوسهم الشجاعة على الموت فى سبيل عقيدتهم قد وجدوها للموت فى سبيل عقيدة الآخرين)[٢]

وعند ما يتكلم عن الباعث الحقيقى على الحرب يقول : (إن العدو الالد ليس خارج حدود الوطن بل هو رابض داخل كل أمة . وليس هناك أمة واحدة تملك الشجاعة لمحاربته . إنه ذلك الشبح ذو المائة رأس الذى يسمى التوسع الاستعمارى . تلك الارادة فى الكبرياء والتسيطر التى تريد أن تمتص كل شىء فاما الخضوع لها وإما الهدم . تلك الارادة التى لا تحتمل مطلقاً أى عظمة ونمو خارج دائرتها)

وبعد أسبوع من معركة المارن أعلن رومان رولان فكرته العالمية (ووجوب إقامة المدينة الواسعة الممتدة الأطراف التى تزال منها المظالم وأحقاد الأمم وتجتمع فيها النفوس المتآخية الحرة فى العالم أجمع) على أنه لم يكن يطلب تحقيق ذلك عن طريق العنف فهو ألد أعدائه . بل يترك للزمن تحقيقه على مهل حين تسمو النفوس عن الصغائر وتتجرد العقول مما تتعلق به من الأوهام

* * *

لقـد رأينا كيف أن رومان رولان فى مقالاته كان متجرداً من كل خضوع لفكرة وطنية ، أو التأثر بتيار الحماسة الذى كان يجرف أمته كما يجرف كل الأمم المتحاربة . ولذا لم يتردد - كما رأينا - فى السخرية من كل رجال الفكر والدين ، لأنهم خانوا مبادئهم النبيلة فى الوقت الذى كان يمكنهم فيـه تأدية أكبر جانب من مهمتهم فى الحياة . كما أنه لم يتردد فى إظهار ألمه من تردى العلم فى حمأة الأغراض ، حين يدعى الأسـتاذ بيرييه مدير المتحف وعضو أكاديمية العلوم فى باريس أن البروسيين لا ينتمون الى الجنس الآرى . كذلك كان من الأسباب التى زادت عدد مهاجميه احتفاظه بعد أن أعلنت الحرب بصداقة من كان يعرفهم من الكتاب الألمان (إذ ليس حبى لوطنى - كما قال - معناه أن أكره أناساً مخلصين يحبون هم كذلك أوطانهم)

كل هـذه الأسباب الى جانب التهم التى وجهت اليـه قبل الحرب عن طعنه فى العبقرية الفرنسية جعلت عدداً من جرائد بلاده تنشر مقتطفات محرّفة من مقالاته لتثير عليه الرأى العام . ولقد استطاعت بلوغ ذلك الى حد كبير . فكان جواب رومان رولان على هـذا أن نشر مقالاته فى كتاب مستقل فى سبتمبر عام ١٩١٥ ، حتى يطلع الشعبُ الفرنسى بنفسه على حقيقة ما كتب ليعرف مقـدار اتهامات أعدائه من الحق أو الضلال . وقد قال فى مقدمة كتابه ما يأتى : (إذا باغتت الحرب شعباً عظيماً فانه ليس عليه فقط أن يدافع عن حدوده ، بل أمامه عقله أيضاً يجب أن يحميه من الخرافات والخروج على العدل ومن السخافات . تلك الأمور التى تطلقها من عقالها المصيبة العظمى . لكل شخص مهمته ، فكما أن على الجيوش أن تحافظ على أرض الوطن ، كذلك على رجال الفكر الدفاع عن الفكر ؛ فاذا سخروه لخدمة شهوات شعبهم ، فقد يستطيعون أن يكونوا آلات نافعة ، ولكنهم يخاطرون بخيانة العقل الذى ليس هو أقل جزء من تراث هذا الشعب) ثم يقول فى النهاية : (لقد ظللت عاماً بأكمله غنياً بالأعداء ، والآن أقول لهم : إنهم يستطيعون أن يحقدوا

(١) Au - dessus de la mêlée P. 6 et 7

(٢) Au - dessus de la mêlée P. 29

عليّ ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يعلموني أن أكون حقوداً .... إن مهمتي أن أقول ما أعتقده عدلاً وإنسانياً)

والواقع أن التهم التي أسندت الى مقالات رومان رولان في (جريدة جنيف) لا أساس لها من الصدق ، إذ خلقتها عداوة بعض الأفراد والجرائد من جهة ، ومن جهة أخرى الرقابة على المطبوعات إبان الحرب التي كانت حين تحذف من مقالاته كثيراً من الفقرات التي ترى فيها تطرفاً لا يجوز نشره ، تترك بذلك المجال لاعدائه لتأويل الجزء الضئيل الباقي تأويلاً سيئاً

وعلى كل حال فقد كان هذا الصراع الهائل بين رجل وأمة داعياً لأن تتسع شهرة رومان رولان بعد الحرب ، وخصوصاً وقد حصل عام ١٩١٦ على جائزة نوبل للآداب[١] ، وكانت شهرته خارج فرنسا أوسع من داخل فرنسا نفسها ؛ وقد قوبلت كتبه التي ظهرت بعد الحرب بشغف زائد وإقبال عظيم ، فطبعت عشرات الطبعات ومن هذه الكتب :

Aux Penples Assassinés (١٩١٧) — Colas Breugnon الذي طبع عام ١٩١٤ ولم ينشر إلا عام ١٩١٩ — Clérambault, histoire d'une conscierce libre pendant la guerre (١٩٢٠) — Les Précurseurs (١٩٢٤) Le Jeu de l' amour et de la Mort (١٩٢٥) L' Ame Anchantée (١٩٢٦–١٩٢٧) و Mahatma Ghandi (١٩٢٦) Les Léonides (١٩٢٨) — Essais sur la mistique de l' inde vivante (١٩٣٠)

ولا يزال رومان رولان يعيش في سويسرا متخذاً اياها وطناً ثانياً له ، محافظاً كل المحافظة على تفكيره وآرائه التي أثارت عليه الحملات غير عابئ بها ، مؤمناً بذلك الاحساس الذي دفعه الى أن يقول أثناء الحرب رداً على متهميه في إحدى مقالاته Lettre à ceux qui m'accusent إن (الوقت الذي يخصصه للرد على خصم ما إنما يعتبر كسرقة من أولئك التعساء ، أولئك السجناء . من تلك الأسر التي تسمى ونحن في جنيف أن نمد لها أيدينا)

ويرى الناقد رينيه لالو[١] أن هذه الصلابة الشديدة التي نجدها عند رومان رولان في التمسك برأيه والاحتفاظ بنقاء ضميره كرجل أخلاق قد آذته إلى حدما ـ كفنان ، إذ أفقدت قصصه كثيراً من الليونة والطراءة . على أن هذا الاخلاص لعقيدته بين عواصف الافتراء الكاذب ، وذلك الاحتمال الباسم للاضطهاد الذي بعثته النفوس الصغيرة ، وتلك السعادة في العذاب التي انعكست عليه من أبطاله بيتهوفن وتولستوي وغاندي ، قد جعلت جميعاً منه أحد أعاظم قادة الفكر الأوربي الحديث الذين في أعناقهم ـ هم وسائر مفكري العالم ـ يقف مصير المجتمع الانساني

علي كامل

(١) في عام ١٩١٣ كان قد حصل على جائزة الأدب الكبرى الفرنسية

(١) René Lalou : Histoire de la littérature francaise contemporaine P. 347.

ملوك الغرب

لمناسبة احتفال الانجليز بعيد ملكهم

للأستاذ فخرى أبو السعود

تيهوا بعيدِ المليك المفرد العلم   وفاخروا بعُلاهُ سائر الأمم
ومجِّدوا فيه عنواناً لمجدكمُ   ورمزَ مُلْكٍ وطيدٍ ثابت الدعم
مُلْكٍ حوَى مشرقَ الدنيا ومغربَها   لم يَرْوِ عن مثلهِ التاريخُ من قِدَم
تيهوا بنى الغرب بين العالمين بما   بلغتم اليوم من مجد ومن عِظم
ولْتَزْدهُوا بملوك فى عروشكمُ   همْ زينة المُلْكِ والأحكام والنظم
تأوى الشرائع منهم والحقوق إلى   حصنٍ حصينٍ وركنٍ غير منهدم
هم أوّلُ الحارسى الدستور من عبث   والحافظين لِما أُولوه من ذِمم
وهم مَناطُ أمانىِّ البلادِ وهمْ   أبُوّةُ الشعب فى الأحداث والغمم
فى كل يومٍ لهم فى الشعب مأثرة   تُغيث منه مكانَ الداء والألم
ملائكُ النور فى سلم وفى دعة   وهم حُماةُ الحمى فى يوم ملتحَم
وسادةُ الناس فى علم وفى أدب   همُ وأوجُ كمال الخُلق والشيم
نالوا من العز شأواً لم يُنَلْ ولهم   محبةٌ فى قلوب الشعب لم تُرَم
محبةُ الشعب ترعاهم وتحرسهم   لا الشاهقاتُ من الأسوار والأُطم
محبةٌ هى أغلى لِلْمُدِلِّ بها   من منظرٍ فارهٍ أو مظهرٍ سَنِمِ (1)
تَوارثوا صولجانَ المُلْك فى أُمم   لا تبتغى بَدَلاً لو خُيِّرَتْ بهم
لا كالملوك الأُلى بالأمس إذ حكموا   ساقوا الرعيةَ سَوْقَ الشاء والنَّعَم
ولم يخالوا شعوباً تحت رايتهم   سوى عبيدٍ لربِّ التاج أو حَشَم
ولم يرَوْا لهمُ جاهاً ولا حَسَباً   فى الناس حتى يُذِلّوا كلَّ ذى شمم
يُقصى الأبىُّ ويَشقى الحرُّ عندهم   ويَمرحُ المالقُ (2) الأفاكُ فى النِّعَم
بأسم المكارم أعلَوا مُلكهم وهمُ   حَرْبٌ على كَرَم الأخلاق والهمم
عن حاجةِ الشعب باللذات فى شُغُلٍ   كانوا وعن دعوةِ المهضوم فى صمم
سِيّانِ إن سَعِدَتْ فى ظل دَوْلتهم   رعيةٌ أو هَوَتْ فى البؤس والوصَم (1)
لا يَرْقُبُ الناسُ منهم فضلَ مكرمة   لكن يخافون منهم بطش محتكم
ذيّاك عهدٌ تولى غيرَ مرتجَع   هيهات يَبعثُه باغٍ من العدَم
وعاصرتْنا ملوكٌ فى ممالكهم   همُ لمن حكموهم أوّلُ الخدم
يشاطرون صروفَ الدهر قومَهمُ   ويعطفون عليهم عطفَ ذى رحم
وهم على شعبهم فى كل ما صنعوا   فيضٌ من البرِّ لا صوبٌ من النِّقَم
تَسنَّموا ذروةَ العليا ، وبأسمهم   تُزْجى الجحافلُ فى الوديان والأكَم (2)
وينزلون إذا ما الجِدُّ جَدَّ على   ما قاله قائلو السادات والعمم (3)
ولا يرَوْنَ لهم من دون أمتهم   مجداً ولا دون حب الشعب من عِصم (4)

فخرى أبو السعود

(1) سنم : عال (2) مالق : متملق

(1) الوصم : الألم (2) الأكم : المرتفعات
(3) العمم : العامة (4) عصم : جمع عصمة

يعجبنى ...

للأستاذ محمد الحليوى

يُعجبنى الحطّابُ فى غابه   وفأسُه تعملُ فى جِذعِهِ
يَهوِى بها — فهى قضاً نازلٌ   ترتجف الغابة من وَقْعِهِ
وتحملُ الريحُ إلى مسمعى   صَدَى نحيب الغاب فى رجعه

* * *

يُعجبنى المِزمار فى سامرٍ   فى هجعة الليل وفى وَهْنِهِ
غناؤه فى الحىّ يهتاجنى   ويستبينى بشجى لحنِهِ
وتحملُ الريحُ صدَى شاكياً   مثلَ شكاةِ القلب فى حزنه

يُعجبنى الآذانُ فى هَدْأةٍ   يُرْسِله العابدُ من جوِّه
يُرسله شَغْفاً يهزّ الفضا   مُرجِّعاً يهتاجُ فى شَجْوِهِ
وتحمل الرِّيح صدًى هائماً   تنجذبُ الرُّوح إلى نحوِه

* * *

يعجبنى الدُّولاب فى رَوضةٍ   وصوتُه الآنى على رَوْدِهِ
وَجُلْجُلُ الناقةِ فى عنقها   والماءُ إذ يهمس فى وخْدِه
وتحمل الريح صدًى غامضاً   يستوقفُ الآذانَ فى بُعدِه

* * *

وإذ تؤمُّ الريحُ فى سيرها   بيتىَ أو تجثُمُ فى قُربِهِ
أحبُّ أن تحمل أمواجها   شتّى اللُّغى ، كلٌّ على ضربِهِ
وهمسةُ الأوراق فى دَوْحِها   وغنّةُ الطائرِ فى سِرْبِهِ
ونَقّةُ الضِّفدعِ فى مائها   وهزمةٌ للرعدِ فى سُحْبِهِ
تُبهجنى ، تُعجبُنى كلُّها ،   وتلك حسبُ القلب من حبِّه
يا عجباً ! قد تأملُ الأذْنُ أنْ   تستوعب الكونَ على رُحْبِهِ

(تونس)   **محمد الحليوى**

الدبكة

ليلة عرس فى القرية

بقلم محيي الدين الدرويش

سكب البدر على القر   ية ضوءاً فزهاها
وبدت حالية الأكـ   ناف تهتزُّ رُباها
نفحتها نسمةٌ عطـ   ريةٌ يُغرى شذاها
يا لها من ليلة قد   أغرقتنى فى سناها
جُليتْ فيها فُتو   نٌ ضلّ عقلى فى مداها

* * *

وفَدَ القوم إلى السَّهلِ   نساءً ورجالا
يتهادون نشاوَى   ويميلون دلالا
موكبٌ للعرس أضحى   يملأ العين جلالا
علت الضّوضاء فيه   وكذا الطبل تعالى
وبدت فيه العذا   رى كنجوم تتلالا

* * *

يا عذارى الحىّ هذى   فرحةُ العرس السعيدِ
عرس هند إنها   كالظبى فى لحظٍ وجيد
غادةٍ عوذتها با   لله من عين الحسود
يا عذارى لا رأيـ   تنّ سوى عيشٍ رغيد
كمل الأنس فبادِ   رْنَ إلى رقص فريد

* * *

علت الأنوار حتى   أصبح الليل نهارا
وغدا كلُّ فؤادٍ   من رُؤاها مستطارا
بُسطُ الديباج صُفّتْ   فبدت تحكى إطارا
جلس القوم عليها   وبها الرّقص استدارا
جُنّ صوت الطبل فى   البطحاء والزّامر ثارا

* * *

عقدوا الأيدى وداروا   هالةً فيها النُّجومُ
كهرباءٌ قد سرت   فارتعشتْ منها الجسوم
مالت الأعناق والأ   عطافُ تهوى وتقوم
والنُّهود اختلجت ، فى   حسنها تَغوَى الحُلُوم
لُجَجٌ فوق صُدورٍ   ليتنى فيها أعُوم

* * *

وقّع الزّامر أنغا   ماً فمالت بالصُّفوفِ
من رجال ونساء   وغوىٍّ وعَزُوفِ
أرسلوا الأرجلَ فى الأر   ض وعادوا للوقوف
ماجت الأعطاف فالقلـ   ب بها جدُّ شَغُوف
يا لأعطاف العذارى   فتنتْ كلَّ عفيف

* * *

وتعالتْ نغماتٌ   سلبت منّى نُهايا
مشجيات ردّدَت أصـ   داءها كلُّ الزّوايا
وأثارت ذكرياتٍ   رقَدَتْ بين الحنايا
يا صبايا حسبكنّ اليو   مَ شجواً يا صبايا
نحن نهواكنّ فارْ   فقْن قليلاً بالضّحايا

حمص (سوريا)   **محيي الدين الدرويش**

١٣ - قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صلة حديثه

وصل الفائت : أثبت بستور أن المكروب ضرورى للحياة على ظهر هذه الأرض . فان الأموات من الحيوان والنبات لا بد من تعفنها وتحللها وأكسدتها لتتسع البسيطة للنبات الجديد والحيوان الوليد . وأن هذا التحلل لا بدله من الأكسجين . ولكن أكسجين الجو عاجز عن هذه الأكسدة فانها لا تتم الا بواسطة المكروب . ثم أثبت بستور بعد ذلك أن المكروب منشؤه الهواء ، يحمله غباره . وأنك لو أدخلت الهواء دون الغبار الى اللبن والأمراق ونحوها بعد اغلائها جانبها الفساد ، فقضى بذلك على نظرية الانبعاث التلقائى التى تقول إن المكروب ينشأ فى الأمراق والألبان وأمثالها من تلقاء نفسه ، من العدم

وبعد ذلك قام بستور بتجربة يدلّ البحث الدقيق بين المخلفات والسجلات أنها من صنع نفسه . تجربة هائلة ، ركب لها القطار ، وصعد من أجلها الجبال ، ودار فى أعاليها فى حذر وريبة حول ما انجمد بهـا من الأنهار . وعاد معمله مرة أخرى فازدحم فيـه القباب ، ورنّ الزجاج ، وغلت الأحسية فأرغت وتفقعت . وقام أعوانه على العمل قومة واحدة ، فلم تر فيهم إلا رائحاً مسرعاً أو غادياً مهرولاً ، حتى لكأنهم عبيد مسترقون وراءهم السياط ، وما كان وراءهم الا قلوب مؤمنة وعزمات صوادق . قاموا يجهزون مئات القوارير ، ويملؤونها بالأحسية بمض الملء ، ثم يُغلون كل واحدة منها دقائق ، وبينا هى تغلى يسيّحون رقابها فى نفاخات اللهب الشديد ، ثم يمطونها ويختمون على القوارير وقد ذهب هواؤها . فاذا بردت لم يكن بها غير الحساء فوقه فراغ . وقاموا على هـذا التجهيز ساعات عديدة طويلة حسبوها دقائق من فرط اهتمامهم

وبدأ بستور رحلته بهذه القوارير . فذهب أول ما ذهب إلى مرصد باريس فنزل إلى حجراته المطمورة تحت الأرض . وأجال نظره فيهـا ثم التفت إلى صبيته وقال : « كيف تجدون هذا المكان ؟ إنه هادئ بالغ الهدوء ، ساكن بالغ السكون ، قلّ فيه الغبار فعزّ فيه المكروب » ، وقام الصبية إلى القوارير فأمسكوها بعيداً عن أجسامهم بمقابض من المدن أحميت فى النار قبل ذلك ، وأخذوا يفضون أختامها حتى بلغ المفضوض منها عشر قوارير ، وكلما فضوا ختم قارورة دخلها الهواء فسمعوا له صفيراً . وما كاد يدخلها الهواء حتى عادوا فختموا القارورة على التو مرة أخرى ، وذلك فى لهب مصباح زيته الكحول . وذهبوا إلى فناء المرصد ففضوا فيه عشر قوارير أخرى على مثال ما وصفنا : ثم أسرعوا عائدين إلى معملهم ، إلى ذلك المحضن تحت حنيّة السلم ، فوضعوا القوارير فيه.

وبعد أيام كنت تجد بستور قاعداً القُرفصاء أمام هذا الفرن ينظر قواريره فى رفق وتحنان ، وعلى فمه ابتسامة من ابتساماته النادرة ، فانه لم يكن يضحك إلا إذا جاءه التوفيق والنجاح . وكتب شيئاً فى كراسته وخرج يزحف من هذا الجحر ليخبر أعوانه أنه وجد تسع قوارير رائقة من العشر التى فتحوها فى قاع المرصد ، « فهذه القوارير التسع لم يدخلها مكروب واحد . أما العشر التى فتحناها فى الحوش فتعكرت كلها بالملايين من تلك الخلائق . إن الهواء هو الذى أدخلها فى القوارير . إن هباء هـذا الهواء هو الذى حملها معه ! »

وكان الوقت صيفاً ، ودراسات المعاهد معطلة والأساتذة يستجمون ، وحق لبستور أن يستريح مثلهم ، ولكنه جمع ما بقى من القوارير وأسرع إلى القطار ، إلى بلده القديم فى جبال الجورا Jura ، فصعد جبل بوبيه Poupet ، وهناك فض أختام عشرين قارورة ثم لحمها . وذهب بالقوارير إلى سويسرا ، وتسلق جبل مونت بلان Mont Blanc مغامراً مخاطراً ، وعلى أكتاف هـذا الجبل العظيم فضّ أختام عشرين قارورة أخرى فدخلها الهواء صافراً . ورجا بستور أنه كلما علا فى الجو قلّ العدد الذى يتعكر من قباباته . وقد تحقق رجاؤه . قال : « هـذا ما كنت أرجو ، وهو ما يجب أن يكون . فانى كلما صعدت فى الهواء قل الغبار فقل المكروب الذى يركبه دائماً » . وعاد إلى باريس

نخوراً ، وأخبر الأكاديمية أنه أصبح من الثابت المحقق أن الهواء وحده لا يستطيع إحداث المكروب فى الأمراق ، وأن لديه على ذلك براهين سيدهش لها كل انسان . صاح فيهم يقول : « هنا ، بهذا المكان توجد مكروبات . وهنا ، على مقربة من المكان الأول لا توجد المكروبات . وهناك ، فى ذلك المكان الأبعد توجد مكروبات غير تلك التى وجدناها أولاً . . . . وهذا مكان آخر ، قد هدأ هواؤه هدوءاً بالغاً ، فلم نجد فيه مكروبا أصلاً » . وأراد أن يمهد لانتصارات أخرى ، فقال : « لَوَدِدتُ أن أصعد فى منطاد إلى طبقات أعلى فى الجو فأفتح فيها قباباتى » . ولكن سامعيه اغتمروا حساً بحديثه ، واكتفوا بالذى كان ، ووثقوا بالذى يقول ، فلم يعد بستور عندهم عالماً باحثاً عادياً فحسب ، بل وقع من حسبانهم موقع أولئك الأفذاذ الذين يجود الدهر بهم آناً بعد آن . كان بستور أول الأبطال المخاطرين فى عصر المغامرة الذى تلا ، والذى سنتحدث عنه فى هذه القصة بعد حين

وكان بستور كثيراً ما يفوز فى خصوماته بالتجارب البارعة التى كانت تترك خصومه طَرْحى صَرْعى . ولكن فى بعض أحايين كان فوزه لضعف فى خصومه أو لغباوة فيهم . وأحياناً كان يأتيه الفوز حظاً ومصادفة . قام بستور يوماً فى جماعة من الكيميائيين لخط من المقدرة العلمية للطبيعيين naturalists . صاح فيهم : « فانْ أعجبْ فعجبى لهؤلاء القوم كيف لا يدخلون على العلم من بابه ، من باب التجربة . فانهم لو فعلوا ، إذن لنفخوا فى علمهم روح الحياة » . وأنت تستطيع أن تتصوّر ما كان من كره الطبيعيين لهذا المقال . فقد كرهه بخاصة المسيو پوشيه Pouchet مدير متحف روان Rouen ، وشركه فى كرهه الأستاذ چولى Joly والأستاذ موسيه M. Musset وهما الطبيعيان الشهيران بكلية تولوز . ثلاثة من أعداء بستور لم يستطع شىء فى الدنيا أن يقنعهم بأن تلك الأحياء المكرسكوبية إنما تتخلق من آباء . لم تستطع حجة أن تذهب باعتقادهم فى إمكان نشوء الحياة والأحياء من أذوات أنفسها . ومن أجل هذا أجمع الثلاثة أمرهم على أن ينازلوا بستور فى أرضه وبنفس سلاحه

فملأوا بمثله القوارير ، ووضعوا فيها الأحسية على مثال ما صنع ، وأغلوها وختموها كما أغلى وختم ، إلا أنهم اتخذوا أحسيتهم من مرق الأعشاب الجافة لا كما اتخذها هو من أمراق الخمائر . وحملوا قواريرهم الى جبل مالاديتا Maladetta فى البرنيز Pyrenees . فأخذوا يصعدون فيه ثم يصعدون حتى بلغوا مكاناً أرفع مما بلغ بستور على جبل مون بلان فى سويسرا . وهناك خرجت عليهم من مغاور الثلوج رياح قارسة نفذت من خلال أكسيتهم الغليظة الى جلودهم . وزلقت رجل المسيو چولى من فوق كتف الجبل ، فكاد يذهب ضحية العلم لولا أن أمسك بعض الأدلاء بذيل كُسوته . وقاموا وهم فى هذه الحال بفتح القوارير وملء فراغها بالهواء ثم ختمها . ونزلوا يجرّون أقدامهم ، وقد نال الجهد منهم والبرد ، فدخلوا الى خان فى الطريق فنصبوا فيه مِحْضَنَا حيثما اتفق ، ثم أودعوه قواريرهم . وبعد أيام نظروا اليها فبرقت أساريرهم لما رأوا أمراقها تعج بالخلائق الصغيرة . إذن لقد أخطأ بستور

وعندئذ أشهروا الحرب بينهم وبينه . وقام بستور يهزأ فى الناس بتجارب الأسياد : پوشيه وچولى وموسيه . وقارعهم بحجج نعلم نحن اليوم أنها كانت تمحّكا ولجاجة

فرد عليه پوشيه . قال فيما قال : « إن بستور قدّم قواريره هو إنذاراً أخيراً للعلم ليدهش كل انسان » . فغضب بستور واهتاج ، ووسم پوشيه بالكذب ، وطلب اعتذاره على رؤوس الأشهاد . وخُيِّل للناس أن الفصل بين الحق والباطل سيكون للدماء الصبيبة بدل التجارب الهادئة . وكان من بعد ذلك أن احتكم پوشيه وصديقاه الى تجربة يجرونها بين رجال أكاديمية العلوم ، فاذا وجد واجد أن قارورة واحدة من قواريرهم خالية من المكروبات عَقِب فتحها ، إذن لأقروا بأنهم مخطئون . وجاء اليوم الموعود ، واقتربت ساعة النزال ، ساعة الاحتكام الى القوارير ، واشرأبت أعناق الناس ، ودقت قلوبهم فى انتظار ما يكون . ولكن خصوم بستور رجعوا على أعقابهم ناكصين . فروا من المعركة قبل أن تكون . فقام بستور نفسه بتجاربه أمام المحكّمين ، أجراها فى وثوق واطمئنان ، وسخر من خصومه وهو يجريها . وبعد قليل أعلن المحكّمون « أن الوقائع التى ارتآها المسيو بستور ، فخاصمه فيها المسيو پوشيه والمسيو چولى والمسيو موسيه حقائق لا تحتمل النزاع ولا تسمح بالخصومة »

انتصر بستور بالحق ، وكذلك انتصر بالحظ ، فإن خصومه لم يكونوا مخطئين فى الذى وصفوه من تجاربهم . لأنهم لسوء الحظ اتخذوا أمراقهم من العشب ، لا من حساء الخمائر . وقد أثبت العالم الانجليزى تندال[1] Tyndall بعد ذلك بسنوات أن هذه الأعشاب تحمل جراثيم مكروب تصمد للغليان ساعات فلا تموت . فالذى أنهى الخصومة بين بستور وأصحابه إنما هو فى الحق تندال . وهو هو الذى أثبت أن بستور مصيب

— ٥ —

وعندئذ حظى بستور بالمثول بين يدى الامبراطور نابليون الثالث . فقال لهـذا الملك الحلام إن كل أمله أن يعثر على تلك المكروبات التى تتسبب عنهـا الأمراض يقيناً ، ودعاه الملك إلى نزهة ملكية فى كومبين Compiegne . وهناك صدر أمر الملك إلى ضيوفه بالاستعداد للصيد ، فتوسل بستور ورجا أن يعفى من هذا ، لأنه كان فى انتظار حمولة عربة من الأجهزة ستأتيه من باريس ، مع أن ضيافته فى القصر الملكى كانت لأسبوع واحد . وأكبره الملك والملكة لما رأياه مُكبّا على مجهره ، بينا يكبّ الآخرون من الأضياف على صنوف اللهو والخلاعة

لابد أن يعلم الناس أن المكروب لابد له من آباء ! وفى باريس ، فى سهرة علمية بالسربون ، قام بستور فألقى خطاباً سهلاً فى الجمهور الحاضر ، وكان من بينهم اسكندر دوماس القصصى الشهير ، وجورج ساند المرأة العبقرية المعروفة ، والأميرة ماتلدا ، ومئات من ذوات البلد وأعيانه . وقام فى هـذا الحشد بقطعة مسرحية رجعوا من بعـدها إلى بيوتهم يثقلهم الهمّ ويساورهم الخوف . فقد أراهم بستور على الشاشة صوراً عديدة من مختلف المكروبات . وبدون انذار أظلم المكان فُجاءةً ، وأرسل فى كتلة الظلام الأسود شعاعاً أبيض من الضياء . وصاح فيهم : « انظروا إلى هـذا الشعاع ، وانظروا إلى المدد الهائل من ذرات التراب التى ترقص فيه ، ثم اعلموا أن الهواء الذى أنتم فيه ملىء بهـذا الهباء ، ثم تعلموا ألا تحتقروا دائماً شيئاً لصغره ، فتلك الذرات الصغيرة قد تحمل المرض والموت ، قد تحمل فوق ظهورها مكروب التيفوس والكوليرا والحمى الصفراء ، وأنواعاً كثيرة غير هـذه من الوباء » . هذا هو النبأ الفظيع الذى جمعهم من أجله ! ألقاه إليهم فى صوت يتهدج غيرة واخلاصا ، فآمنوا به وارتجفوا ارتياعا منه . بالطبع لم يكن هذا النبأ صادقا كله ، ولكن بستور لم يكن كذّابا فياشا ، بل كان يؤمن كل الايمان بالذى يقول . فهذا الهباء ، وهذا المكروب الذى حمله ، أصبحا من ضرورات حياة صاحبنا . إذا فكر ففيهما التفكير ، وإذا نظر فاليهما النظر . ويدعوه الداعون من رجالات المجتمع إلى موائدهم فلا يبالى أن يرفع إلى أنفه الصحون والمالق ، فيحملق فيها ، ثم يدور عليها يمسحها بمنديله . كان كل عمل يأتيه اعلانا بعيد المدى عن تلك المكروبات

نعم أغرى بستور كل فرنسى أن يهتم لهذه المكروبات ، من الامبراطور فى عظمته وأبهته ، الى الزبال بين قمامته . وتسارق الناس الأخبار من أبواب مدرسة النرمال عن أحداث مريبة غريبة ، حدثت أو تحدث قريباً : ومرّ الأساتذة والطلاب بتلك المعامل ، وفى خطاهم بعض سرعة ، وفى قلوبهم شىء من فزع ؛ وكأنى بك تسمع الطالب يتحدث الى رفيقه الطالب ، وقد مرّا فى طريقهما بمدرسة النرمال فأظلتهما حيطانها العالية الغبراء ، فيقول له : « إن وراء هذه الحيطان رجلا يدعى بستور يكشف أموراً عجيبة عن مَكْمَنَة الحياة ، وقد بلغ من علمه أنه يعرف كيف تنشأ الحياة ، ويقولون إنه ربما كشف منشأ الأمراض وأسبابها » ونجح بستور فى اغراء الساطات بزيادة سنة على سنوات الدراسة ، وبدأت المعامل تزداد عدداً ، وخطب فى تلاميذه خطباً من نار ، فبعث بفصاحته الدمع الى عيونهم ، وتحدث عما تُحدثه المكروبات من العلل فى الأجسام قبل أن يعلم عن هذا شيئاً ، فلم يكن بعد بحث الطاعون ، ولم يكن بعد كشف غيره من الأوبئة القتالة ، ولكنه فعل ذلك ليحمّس الجمهور ، والجمهور الفرنسى عنيد ، عسير تحميسه

كتب يوماً رسالة صغيرة حارّة يخاطب فيها جمهور الفرنسيين

(البقية فى أسفل الصفحة التالية)

(١) هو چون تندال John Tyndall ، ولد فى ارلندا عام ١٨٢٠ ، ومات عام ١٨٩٣ بحث فى أشتات من العلوم أخصها الفيزياء ، فبحث فى الحرارة والصوت والاشعاع . فصنف مؤلفاً أسماه التخمر عام ١٨٧٧ . وآخر أسماه المواد العائمة فى الهواء وعلاقتها بالتعفن والعدوى ، وذلك عام ١٨٨١ . وصاحب هكسلى . وصادق فرداى . وكان كريماً للعلم سخياً

المترجم

القصص

من أساطير الاغريق

ثيذيوس يقتل المينوطور

ويخلص أثينا

لعب يثير حرباً

للأستاذ دريني خشبة

كان الملك إيجوس ، ملك أثينا ، فى شرخ صباه وعنفوان شبابه زِير نساء وأخا شهوات ؛ وكان ذا نزوات تكاد تسعى به إلى حتفه . . . بظلفه . . .

ذهب مرة يجوب ريف مملكته ، فلمح وجهاً مشرقاً ينبثق من كوة كوخ فى إحدى القرى ، تتراقص حول ثغره الصغير بسماتٌ هن رسل الحب ، وتنطلق من عينيه النجلاوين نفثاتٌ تَنصرع عن ذا اللب . . . حتى لا حراك به . . .

وطرق الباب يستسقى ، وما به ظمأ ، فامتدت اليه ذراعٌ عاجيةٌ لدْنة ، تحمل كوباً من البلّور مُفعَماً برحيق الحب ، وإن لم يحْوِ غير الماء القراح !

وتناول الكوب ولبث لحظةً يشرب ما به بعينيه ، دون أن يمتد فمه اليه ، ثم أرسل زفرةً دفعت الباب فانفتح على مصراعيه ، ودخل غير مستأذنٍ ، فروّى فمه ، وبرّد قلبه ، وبَلّ جاحم الحب الذى زلزل أركانه

ثم تزوجها ، ومكث عندها شهراً كان عَسَلاً كله !

ووصل إلى قاعدة الملك ، وأم القرى ، أثينا ، بعد أن ترك وَصاتَهُ المكتوبة الآتية : « فى الغرفة التى ضمتنا لأول مرةٍ نلتذ الحياة وننعم بطيب العيش ؛ هنا ؛ فى هذا المنزل الصغير الذى اتسع لدنيانا من الآمال والأحلام ؛ وتحت الحجر الكبير الملوّن ، حيث كانت قدماى تحيّيان فى سَكْرةِ الهوى قدميك ؛ قد استودعت نعْلَيّ اللتين حملتانى اليك ، وسيفى الذى فرَيت به رؤوس الأعداء حتى سعدت بك ؛ فاذا وضعتِه غلاماً فسميه ثيذيوس ، ونَشّئيه وطرّئيه حتى يصلب عوده ، ويشتد ساعده ، فخذيه إلى الحجر فلْيرفعْه ، وليَلْبسْ نعلى وليَمْتشقْ سيفى ، ثم ليَمضِ إلى أثينا ، لا حافظ له إلا قلبه ، ولا حارس إلا سيفه ، فاذا شاءت العناية فانه يحول زيوس العظيم ولى عهدى ، وصاحب التاج من بعدى . »

وتتابعت السنون

وكانت أثينا تزهى كل سنةٍ بعيدها الرياضى الفخم ؛ فتلبس حلةً من البهجة والايناس ، وتؤمها وفود الأقاليم المجاورة تتفرج بالألعاب الجميلة ، وقد تشترك فيها

وكان لمينوس ملك كريت[1] ، ابن مفتول العضل قوى البنية حبيب الطلعة ، كان يقدم إلى أثينا إبان عيدها الرياضى ليبارى

(١) كريت أو كريد هى جزيرة إقريطش وقد آثرنا التسمية الأولى لسهولتها وذيوعها

قال : « أرجوكم ، أتوسل اليكم أن تعيروا شيئاً من اهتمامكم هذه البيوتَ التى أُسْميتْ معامل عمداً وقصداً . طالبوا بزيادتها . طالبوا بتكميل ما نقص منها . إنها معابد الغد . ومنها ستخرج لكم أسباب الرفاهية وأسباب الغنى » . لقد سبق بستور زمانه بنصف قرن ، وكان كالنبى الذى يعرف من أين تؤكل الكتف ، فنصب لقومه مُثُلاً للكمال عظيمة ، ولكنه لم ينس أن يذكرهم بما سيكون لهم كذلك من متع مادية دون تلك المُثُل عظماً ، لم يكن بستور بحاثا كبيراً فحسب ، بل كان خبيراً بأمور دنياه خبرة فائقة

(يتبع) أحمد زكى

أبطالها ، ثم يعود مشمولاً بحب الأثينيين وإعجابهم الشديد ، ولقد كان يحدث ألا يكون للموسم بهجته المعتادة إذا تخلف ابن مينوس فلم يحضر إلى أثينا

ومن غريب المصادفات أن يولد ابن ملك كريت هذا فى نفس اليوم الذى تضع فيه القروية الحسناء الغلام ثيذيوس ابن ملك أثينا

ومن غريب المصادفات أيضاً أن ينشأ ثيذيوس هذه النشأة الرياضية التى نشأها ابن مينوس ، والتى كانت أماراتها تبهر الأثينيين وتخلب ألبابهم فى موسمهم الرياضى

ولم يكن الأثينيون يعلمون أن لملكهم ولداً ، هو إن لم يبرز على ابن مينوس فى الألعاب الرياضية ، فانه لا يقل عنه شأناً فيها . ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئاً ، ولو قد علم عنه شيئاً لما سوّلت له نفسه الأثيمة أن يدبر غيلة ابن مينوس فى حلك الليل ، وفى طريقه القفرة إلى المرفأ ، حين آب بأكثر جوائز الموسم الرياضى ، فى المصارعة والملاكمة والعدْو ورمى القرص ..!

لقد أكلت الغيرة العمياء قلب الملك الجبان ، وتلظّى فؤاده بحقد أسود حجب بصيرته ، فأرسل عصابة من اللصوص وقطاع الطرق والسفاكين ، ذبحوا الشاب المسكين ، ونبذوا جثته بالعراء ، تنوشها الوحوش وسباع الطير !

واهتزت أثينا المضيافة ، أثينا أم القرى ، لهول الجريمة ، ونقموا على القتلة الأشرار اعتداءهم الشنيع على ضيفهم المحبوب ؛ وكادت تندلع ألسن الثورة حين استفاضت الأشاعات وراجت سوق الأقاويل ، لولا أن وصل فى صبيحة ليلة الجريمة ، البطل الصغير ثيذيوس ولى العهد فجأة ، ومن غير سابق علم ، ولا ترقّب ، ولا انتظار !

« ثيذيوس ! ومن يكون ثيذيوس هذا ؟ !

« ولى عهد المملكة ، ورجاؤها ، ومعقد آمالها

« وأين كان الشاب ؟ وابن من ؟ ومتى ولد ؟

« كان يُنشّأ فى الريف ، وهو ابن حسناء من أميرات الأقاليم وولد منذ عشرين

ولم لم تعلم به أثينا من قبل ؟

« أراد الملك أن يفاجىء شعبه بهذا الخبر السار ، لولا اغتيال ابن مينوس ؟ !

« وهل هو حقاً أشجع من ابن مينوس ؟

« ومن يكون ابن مينوس ، وألف بطل كابن مينوس إلى ولى عهدنا ثيذيوس ؟ وهكذا راحت الجماهير يتحدث بعضها الى بعض حديث ثيذيوس

أما كيف وصل هذا الأمير الصغير ، فان أمه لما آنست فيه القوة وا كتمال البنية ، ولما رأت من تدفق ماء الشباب فى وجناته ، وسريان كهرباء الحياة فى عضلاته ، قادته الى الحجرة التى لقيت فيها لأول مرة أباه ، ثم ناولته الخطاب المكنون الذى يحمل وصاة الملك . وما قرأ الفتى ما جاء بالخطاب حتى تأكدت له الأمانى العذاب التى كانت أمه تهتف له بها ، فتقدم الى الصخرة فرفعها بأقل جهد ، ثم حمل السيف فقبّله ، ووضعه هنيهة على رأسه ، ثم على عينيه ، ثم على قلبه ، كأنه يطبع به خاتم المحبة الأبوية على أعز جوارحه !

وربط النعلين العزيزتين على قدميه ، وانهال على خدّىْ أمه ويديها يقبل هذين ويلثم هاتين ، وودعها ، وتزود من نصائحها ، وانطلق ميمما شطر آثينا

وكانت الطريق الى العاصمة صعبة شائكة محفوفة بالمكاره ، ككل طريق تؤدى الى جنة أو نعيم ! فاللصوص وقطاع الطرق والسفاكون يأخذونها من كل حدب ، والسباع الضوارى تمعج فى جنباتها ، والغيلان والأبالسة تهمهم فى جميع منعطفاتها . . . ولكن هذا كله لم يثن من عزم ثيذيوس ؛ فلقد قتل كل من تعرض له من لصوص هذه البرية المرعبة ، وفرى رؤوس سباعها ، حتى لقد فر الكثيرون أمامه يذيعون نبأ مقدمه فى آثينا . فما وصل إليها حتى كان صيته قد سبقه وشاع فيها . وما إن تقدم الى أبيه الملك حتى عرفه ، ونزل من فوق العرش فعانقه وقبله ، ثم عاد فاجلسه بجانبه ، وألقى اليه بأذنيه يصغى الى قصة حياته ، ومجازفته فى الطريق التى تكتنفها الأهوال الى أثينا !

وأعلن السرور العام فى المدينة ، وطفقت النواقيس تدق فى الهياكل ، وأطلق سراح المجرمين من جميع السجون ، وجعل

الناس يتندرون بشجاعة ولى العهد وقصته العجيبة ، حتى لأنساهم ذلك هول المأساة الدامية التى روعتهم وزلزلت قلوبهم

* * *

وانتظر مينوس أوبة ابنه ، بيد أنه قلق لانقطاع أخباره ، وساورته الظنون من أجله ، وحسب أن ريحاً عاصفاً ثارت بمركبه فى البحر الايكارى (١) فأغرقته ، لولا أن أحد التجار الكريديين عثر بجثة القتيل فاحتملها الى الملك ، الذى تصدع قلبه من الأسى !

ولا تسل عما انتاب مينوس من الحزن ، وما شمل كريد من الهم ، حتى لم تبق فيها عين لم تذرف ماءها على ولى العهد !

واتصل بالملك ما كان من فعلة إيجوس ملك أثينا ، فاستيقظ الناس صبيحة اليوم التالى على صيحة الحرب ، تدوى فى غبشة الفجر فتقض المضاجع ، وترن فى الآذان وتتجاوب لها حبات القلوب ! وما تطلع الشمس حتى تكون البطاح مائجة بجنود كريد البواسل ، هائجة بالمتحمسين من الشبان والشيب ، هرعوا جميعاً فدى للملك ، وريّا لمجد الوطن ، وإيثاراً لولى العهد !

وترامت الأخبار الى أثينا ، فاعتكرت أفراح البلاد ، وسكن ضجيج الشعب ، وسارع الجميع يستعدون للقاء العدو ، فها هى القلاع قد سهر عليها حراسها ، والسبل منبثة فيها الجنود شاكى السلاح ، والمرافىء تعج بالسفائن الحربية ، وكل رجل فى المملكة قد اضطلع بنصيبه فى الذود عن بيضة الوطن !

وأقلع مينوس بأسطوله اللجب ، وعسكره المجْر ، وفرسانه العديدين ، مزودين بميرة ليس كمثلها ميرة ، وذخيرة يا لها من ذخيرة . . . ومخر الأسطول لا تحول بينه وبين مطمحه عقبة ، ولا يقف من دونه محمِّق ولا مجنون

ووصل الأسطول الى أثينا ، غادة هيلاس ، وهدية الآلهة الى ڤينوس ، وعروس الأحلام الجميلة ؛ فوجد الأسوار محفورة ، والبوابات مغلقة ، والناس داخل المدينة مستعدين للدفاع عنها ، فألقت الفلك مراسيها . واندفع الكريديون يحتلون السهل الواسع المحيط بالمدينة حتى ملأوه ، وحتى لا ترى إلا خياماً تصل أقصى الشمال بأقصى الجنوب ، وتربط أول الشرق بآخر الغرب . . .

جنود وضوضاء . . . وصهيل ورُغاء . . . وعسكر كالجراد المنتشر لا تبلغ آخره عين ، ولا يذهب الى آخره خيال !

وصابر مينوس يحاصر المدينة أياماً طوالاً حتى قلت الأقوات داخلها ، وأخذ أهلها يشكون الجوع والجهد ، وزاد فى شدتهم أن نضب الماء ، فعم البلاء

ولم يكن أمام الأثينيين إلا إحدى اثنتين : إما الموت داخل الأسوار صبراً وهذا ما لن يكون ، وإما الخروج للقاء المحاصرين ومناضلتهم ، وذلك مالا طاقة لهم به ، ولا قدرة لهم عليه

أمران أحلاهما مر ، وأخفهما فيه الويل ، وعقباه الدمار والبوار ! وأجمع بعض عقلائهم على أن يذهبوا الى ملكهم يرجونه أن يذهب الى الهيكل فيقدم القرابين الى الآلهة حتى تأتيهم نبوءة السماء ووحى الأولمب بما ينبغى أن يكون . . . ولكن الملك أبى واستكبر ، ثم قبل بعد إلحاح أعيان القوم أن ينوب عنه فى هذا الشأن أحدهم

وقصد قائم مقام الملك إلى هيكل ڤينوس فتقرب بالضحايا وعقر القرابين ، وقبل الأرض بين يدى تمثالها المنتصب فوق المذبح ، ولبث غير قليل . . .

وخشعت الأبصار وسكنت القلوب ، وساد المعبد وجوم عجيب . . .

ثم انبعث الصوت القدسى الضعيف من خلوة الكاهن يقول :

« ليفعل الأثينيون ما يأمرهم به مينوس ملك كريت . . . الويل لهم إن حاربوا ؟ ! »

وهلعت الأفئدة . . . وطاشت الأحلام ! !

وتلقاها الملك كما يتلقى الانسان حكماً عليه بالاعدام . . . ولكن ما العمل ؟ ولا حيلة لبنى الموتى فى دفع أحكام القضاء ؟

وأرسل إيجوس إلى ملك كريد يعرض عليه الصلح ، ويسأله عن شروطه . . . فقال مينوس لرسل الملك : « قولوا لايجوس ، الآن عرفت كيف طعنت فؤاد مينوس تلك الطعنة النجلاء بقتلك ابنه وولى عهده . . . ولقد جئناك نطلب ثمن هذه الفعلة الشنعاء ، ولن تكفينا أثينا كلها ثمناً لها ! أما وقد ذللت ، فحسبنا أن نرجع بسبعة من خير شبابكم وأجمل فتيانكم ، وسبع من أبكار

(١) نسبة الى إيكاروس (أسطورة العدد السابق)

الأثينيات وأبهى حسانها ، ليكون الجميع غذاء حلالاً للمينوطور ، وعلى أن ترسلوا كل عام فى مثل هذا الزمن أربعة عشر آخرين من خيرة شباب أثينا وأكرمهم حسباً

إن رضى الملك وسلّم فدية هـذا العام رحلنا عنكم إلى العام المقبل . . . »

وسكت الملك ، وتحدرت من عينيه دموع غلاظ ، وثار فى قلبه هم قديم . . .

طلب مرعب ينم عن قسوة وغلظة ! غير أن قتل ابن مينوس غيلة ، فى رحاب أثينا ، وفى دجنة الليل ، وبتدبير الملك ، كل ذلك يبرر الغرامة الوحشية التى فرضها ملك كريت !

وكاد إيجوس يرفض هذا الهوان الذى طلب اليه أن يؤديه عن يدٍ وهو صاغر ، ولكن الشعب هاج هائجه ، وضج الرعاع يطلبون الخبز ، أو تسليم المدينة ، أو . . . دم الملك ! !

فذل إيجوس المسكين وصغر ، وقبل شروط مينوس مرغماً ، واختير من شباب المدينة سبع كواعب أتراب ، وسبعة فتيان فى ريعان الصبى ، وشيّع هؤلاء وهؤلاء إلى الأسوار بين بكاء الأمهات وعويل الآباء وآلام المحبين !

وهرع الكريديون إلى خيامهم فاقتلعوها ، وإلى شراعهم فنشروها ، وأقلعوا فى الصباح الباكر بعد أن ألقوا على كبرياء إيجوس هذا الدرس المهول !

***

ومضت سنون وأثينا العظيمة تؤدى الفدية عن يد وهى ضارعة ، حتى ثارت كبرياء ثيذيوس وفارت نخوته ، وتقدم إلى أبيه الملك الشيخ ، حين دعا النفير العام لتقديم الفدية ، يضرع اليه أن يكون هو الفداء الرابع عشر من شباب هذا العام : « على الأقل يا أبى يكون فى هذا بعض العزاء للأثينيين ، وليثقوا أننا لا نذلهم ، وأننا منهم وهم منا ، وأننا آخر الأمر ، نشرب الكأس التى يشربون ! »

وصمق الوالد حين تقدم إليه ولى عهده بهذا الطلب ، ورفض رفضاً باتاً . . ويغلى الدم فى رأس البطل الشاب ، فيقول للملك : « إذن فأنا أحطم كأس الحياة التى أفعمت مذلة وهوانا ، وسأريق مع سمها الأسود هـذا الدم الأرجوانى الذى لا أستحقه ، ولا أشرف به . . . أبتاه ! لن تتحرك السفينة الحزينة حاملة ضحايا قسوتنا واستبدادنا حتى أحييها بحياتى ، وأرويها بدمى ، ليكون قرباناً لمن عليها من عشيرتى ولِداتى . . . »

وقبل أن يفصل البطل الشاب ، ناداه والده باكياً ، ونهض فباركه ، وقبل ، والهم يمزق أحشاءه ، أن يكون بين الضحايا . .

وفى الحق إن ثيذيوس لم يكن يعرض نفسه للتهلكة ، ولكنه كان واثقاً من شجاعته ، مؤمناً بما وهبته الآلهة من جَلَد وبأس ، وقلب لا يفله إلا الحديد ، لأنه من حديد . ولقد صمم أن ينازل هـذا المينوطور الخبيث ، فاما قتله وعاد مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، ليعيش فى وطنه منقذاً لأثينا ، وإما قضى القضاء أمره فيه ، وليس هو بأعز ممن راحوا ضحية هذا الوحش المخيف !

وقال لأبيه وهو يودعه ، حينما ركب المركب السوداء التي يرفرف عليها علم الموت « أبى ! لا تبكِ ! إنك ملك ، ودموع الملوك لا تذرف إلا فى سبيل الوطن ! إننى ذاهب إلى معركة أرجو أن يكتب لى النصر فيها ! لقـد كنت أتغلب على عشرات من أمثال هذا الوحش ولما أكن بعد إلا طفلاً . . . ادع لى أن أفوز به ، فأريح أثينا العزيزة من شره »

وأقلعت السفينة تحمل هذه الفلذات الغالية من أبناء البلاد ، ومخرت فى بحر تلاطمت أمواجه ، وزخرت أثباجه ، واشمخر أنفه ، وانتفخت أوداجه ، حتى وصلت إلى كنسوس حاضرة كريت . وهرع الناس من كل فج يستقبلون ضحايا المينوطور ، وفى وجه كل منهم عبوسة حزن ، وملء قلوبهم ثورات مكبوتة من الأسى ، على هذا الشباب الناضر الذى أقبل إلى الموت من قرار بعيد !

وكانت فى الجماهير فتاة غضـة الأهاب ، بضة الشباب ، حلوة ناعمة ، نهضت فى مركبتها لمشاهدة الضحايا الأثينيين ، وما كادت عينها تصيب نظرة من ثيذيوس ، حتى أحست فى أعماقها بنفحة السماء التى تسبق لفحة الحب ! !

« ترى من يكون هذا الشاب الأنيق والفتى الرقيق ؟

« إنه يُقبل فى غير وجل ، ويقتحم الجماهير فى غير هيبة ! أعَبَر بحار الموت قبل هذا ؟

« لا شك يا فتاة أنه أمير إن لم يكن ابن ملك !

« إن الحمرة التي تطير من الورد إذا قُطف ، ما تفارق خَدَّيه ، وهو مُقْدم على الردى ! !

« إن صفرة الموت تستحي أن تموه هذه الوجنات ! ؟ . . .

« أمن السماء هذه الزرقة التي تملأ عينيه ؟ . . .

« بل مثله لم يخلق إلا ليكون زهرة هذه الحياة الدنيا . . .

« أيها الشاب . . . لن تموت !

وهكذا جعلت تتحدث تلك الغادة . . . الأميرة الجميلة بنت مينوس . . . ! !

وكأنما قرأت وصيفتها الأمينة ما دهى سيدتها من حب الفتى في كتاب عَيْنَيها ، فقالت : « أتحس سيدتي بتعب ؟

« لا يافتاة . . ولكن انظري الى هذا الفتى المتفتح كالزهرة !

« والله ياسيدتي إنه جدير بعطفك ، خليق برحمتك . . .

« وما العمل يافتاة وليس لنا في إنقاذه يدان !

« هوِّني عليك يامولاتي ! إنه وايم الله من سلالة الملوك ، إن لم يكن ابن مليك ! وهو بادي الشجاعة ظاهر الفتوة ! وإن له لسيفاً طويل النجاد ما حمل أحد مثله ، ولم أعهد قط أن من ضحايا المينوطور من جاء بذي غرارين من شنه . . . فلم لا ندبِّر معه قتل المينوطور ! ؟ . . . »

« قتل المينوطور ؟ إنك تهرفين ! ومن يجسر أن يدخل والمينوطور في معترك ؟

« لا عليك ؟ نرشو السجان فيفلت الشاب في ظلام الليل ، ونهديه إلى باب اللابيرنث (١) فينطلق إلى الوحش الغاط في نومه العميق فيجذ رأسه بهذا الجراز الذي ترين ! »

« ياله من تدبير ! ولكن كيف يعود الشاب وأنت تعرفين من منعرجات اللابيرنث وشعابه ماتعرفين ؟ . . . »

« لا أسهل من هذا أيضاً ! خيط طويل من أمراس الكتان يمسك هو بطرفه الأول ، ونمسك نحن بطرفه الآخر ، يهديه في الأولى ويرشده في الثانية ! ! »

وطربت بنت منيوس لتدبير وصيفتها ، فمنحتها قبلةً شهية وخلعت عليها جائزة سنية . . . وانطلقتا ترقبان المساء !

(١) اللابيرنث هو التيه الذي بناه ديدالوس للمينوطور ، وقد حدثناك عنه في العدد السابق

وعرف ثيذيوس أنها ابنة الملك فاستُطير من الفرح ؛ وعرفت أنه ابن ايجوس ؛ فكبر رجاؤها وتلألأت آمالها . . .

وقتل المينوطور ؛ وفك اسار رفاقه ورفيقاته ، وأقلعت بهم الفلك ؛ حاملة جوهرة جديدة غالية : هي ابنة مينوس . . . . وربيبة كريد

أما الملك !

فقد صبر ! وأرضاه أن يحضر ايجوس فيعتذر له ويصالحه !..

وهكذا حسم الحب هذا الخصام الطويل

دريني خشبة

البريد الأدبي

كتاب العام

أزمة أوربا

بقلم أندريه زيجفريد

صدر أخيراً بالفرنسية كتاب يعتبره بعض النقدة « كتاب العام » ، وهو كتاب « أزمة أوربا » La Crise de l' Europe لمؤلفه الكاتب السياسي والاقتصادي الكبير أندريه زيجفريد ، وهو يصدر في ظروف عصيبة تواجهها القارة القديمة . وقد شغلت هذه المعضلة منذ نهاية الحرب كثيراً من رجال السياسة والاقتصاد ولكن لم يلفت الأنظار مما كتب فيها سوى كتب ثلاثة : الأول كتاب « مصير أوربا » Destin de l' Europe الذي ظهر غداة الصلح بقلم مسيو آبير ديمانجون ، وفيه ينوه بخطورة التقدم الصناعي الذي حققته أمم كاليابان والولايات المتحدة (أمريكا) . ثم أصدر مسيو لوسيان روميبه كتاباً ينوه فيه بعجز أساليب الانتاج الأوربية القديمة عن مناهضة الانتاج الضخم الذي تتبعه أمريكا ؛ وتلاه مسيو شارل بوماريه في كتاب يبحث فيه أسباب نجاح الغزو الذي قامت به أمريكا لأسواق أوربا القديمة في القارة ذاتها

ولما وقعت الأزمة الاقتصادية الأمريكية خفت حدة هذه المسألة الشائكة ؛ وخفت حدة الجدل عن الصراع الاقتصادي بين أمريكا وأوربا ؛ ولكن الأزمة لما انتقلت الى أوربا وعصفت بصرحها الاقتصادي ، عادت نظرية الغزو الأمريكي والياباني لأوربا تشغل أذهان الساسة والاقتصاديين

وقد جاء كتاب مسيو أندريه زيجفريد يذكر أوربا القديمة أن الداء لا يذهب بداء آخر ؛ ويقول مسيو زيجفريد إن أوربا يجب أن تواجه نفس المشاكل التي تواجهها باقي الأمم ، ويجب أن تصلح نفس الأخطاء ، ولكنها تواجه في نفس الوقت مشاكل خاصة بها ؛ وقد لاحظ كثير من الباحثين ذوي النظر البعيد منذ نهاية الحرب أن الأمم الصناعية القديمة تجد نفسها اليوم أمام أمم فتية منافسة لم تكن تتوقع نهوضها ؛ أمم تتفوق عليها بأجورها المنخفضة ، وانتاجها الضخم ، وحداثة أدواتها واستعداداتها الفنية . ويلاحظ مسيو زيجفريد بحق أن ذلك الاحتكار القديم الذي كانت تتمتع به أوربا قد دخل في دور الانحلال ، وهذه هي ناحية المشكل التي يعالجها ببراعة ووضوح

وأهم قسم في الكتاب هو الذي يشرح فيه المؤلف لنا كيف استطاعت أوربا أن تفرض سيادتها على العالم ، وكيف بدأ العالم ينازعها هذه السيادة ، ويقدم لنا المؤلف صورة قوية مما كانت عليه أوربا والعالم في أواخر القرن التاسع عشر ، حينما كانت أوربا تكاد تحكم العالم في نوع « من الحق الآلهي » . وقد استطاعت أوربا منذ عهد الأحياء (الرينصانص) « بوسائلها وشهواتها » أن تتفوق على باقي القارات الأخرى ؛ ولم يمض قرنان على ذلك حتى استطاعت أوربا بواسطة ثورتها الصناعية أن توطد احتكارها بلا منازع ؛ وكأن عناية إلهية مكنتها من تحويل جميع المواد الأولية التي ينتجها العالم الى سلع ومنتوجات تستدر بها ثروات العالم كلها ؛ وقامت سيادتها على امبراطوريتها الاستعمارية التي شملت معظم بقاع الأرض ، وسادت أساطيلها جميع البحار ؛ واستطاعت بالاعتماد على قانون دولي مرن أن تفرض من النظريات والنظم على معظم الأمم ما يوافق مشاريعها ومصالحها ؛ وانتهى الأمر باقامة نظام اقتصادي هائل تستولي أوربا بمقتضاه على جميع المواد الأولية ، ثم تردها الى العالم سلعاً مصنوعة . يقول مسيو زيجفريد : وهذا نظام ضخم ذكي ، تخضع فيه الحريات لصولة التوسع ، والأخلاق لسلطة الفتح ؛ ويعتبر فيه من الأمور المشروعة الخالدة أن يقسم العالم الى طبقتين متباينتين : أرستقراطية أوربية تحتفظ لنفسها بالعمل الفني المثمر ، وطبقة فقيرة يترك لها العمل الخشن المضني

ولـكن هذه السيادة تبدأ منـــذ القرن التاسع عشر دور الانحلال ؛ وقد كانت أول خطوة فى ذلك تحرر بعض الأمم البيضاء كالولايات المتحدة والمستعمرات الأسبانية والبرتغالية ، والدومنيون البريطانية . وفى أوائل القرن العشرين نزلت الى الميدان بعض الأمم الملونة التى كانت تعتبر منحطة ، وجاءت الحرب فزادت فى بواعث الأزمة ؛ ذلك أنها حطمت الأداة القديمة التى كان يقوم عليها توازن العالم ، وحولت الانتاج الأوربى عن مهمته الطبيعية ؛ فاستطاعت القارات الفتية أن تفتتح بسرعة وأن تغـدو دائنة ، وأن تنظم صرحها الصناعى على قواعد ضخمة ، وبعد نهاية الحرب لاحظت أوربا أن منافسيها الجدد يحاربونها بأسلحة لا تستطيعها مثل الأجور المنخفضة فى الشرق الأقصى ، والانتاج الضخم فى أمريكا ، يقول مسيو زيجفريد : « ولقـد نزلنا الى معترك عام ، وحصرنا بين نارين ؛ بين آسيا وأمريكا ؛ بين الأجر المنخفض فى الأولى ، والأجر المرتفع فى الأخرى ؛ ومهما كان من الأمر فانا نستكين الى ذلك فى ضعف »

ويتساءل مسيو زيجفريد ، هل حكم على هـذه القارة التى سادت العالم مدى ثلاثة قرون حكماً نهائياً لا مرد له ؟ وهنا يعدد المؤلف لنا ما بقى لأوربا من عناصر التفوق ووسائل النضال ؛ ويرى أن أفضل طريق للسلام هو تمسك أوربا بالانتاج الفنى الرفيع الذى يقتضى علماً وخبرة فنية ، بيد أن هـــذه الطريق ليست أيضاً محققة ولا حاسمة ؛ ذلك أن اليابان تخطو نحو الانتاج الفنى خطوات سريعة ؛ وقد بدأت أمريكا تحتل مكان ألمانيا فى التطبيقات العلمية والفنية . فالمستقبل إذن غامض ومصير أوربا القديمة فى كفتى ميزان : (عن لوروب نوفيل بتصرف)

تكريم الدكتور محمد حسين هيكل بك

بمناسبة صـدور كتاب (حياة محمد) تألفت لجنة لتكريم الدكتور محمد حسين هيكل بك برياسة حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة

وسيقام لهذا الغرض حفلة شاى بفندق الـكونتننتال مساء يوم الأربعاء ١٥ مايو الجارى ، وستذاع بالراديو الخطب التى تلقى فى هذه الحفلة

وسيصدر عدد خاص من جريدة السياسة بآراء وأبحاث رجال الفكر بمصر والشرق فيما ألفه الدكتور هيكل بك ، وفى آثاره الأدبية ومؤلفاته المختلفة

وترجو اللجنة أن تكون جميع المراسـلات باسم الأستاذ جلال الدين حسن بشارع الناصرية رقم ٦٠ بمصر

كتاب جديد لفرنسيس كاركو

فرانسيس كاركو كاتب فرنسى يعرفه الـكثيرون فى مصر . وقد زار مصر منذ نحو عامين وكتب عنها سلسلة من المقالات والصور كانت أشنع وأقبح ما كتب عنها من الوجهة الاجتماعية والأخلاقية . ذلك أن فرانسيس كاركو كاتب لا يرتع قلمه إلا فى عالم الطبقات الدنيا والمجتمعات السافلة ، عالم البغاء والفجور والادمان والتدهور الاجتماعى . ولـكن كاركو يدهش اليوم قراءه باخراج قصة جديدة جردت عن هـــذه الخاصة عنوانها « ظلمات » Ténébres ؛ فى هـذه القصة الجديدة يعالج كاركو مأساة عائلية عادية ، لا أثر فيها للسفلة والأوغاد والحياة السافلة ، قصة زوج فتى متعلم خانته زوجه ، وضبطها متلبسة بالخيانة فقتل منافسه ، وقدم إلى القضاء فحكم عليـه بأعوام فى السجن . ويحاول كاركو أن يبدد « الظلمات » التى حاقت بضمير هـذا الزوج المعتدى عليه ، ويحاول أن يحلل بالأخص تلك العواطف المختلفة التى جاشت بنفسه ؛ فهو من جهة يشعر بأنه يحب الزوجة الخؤون أكثر مما كان يتصور ، ومن جهة يشعر بأنه يبغضها أولاً لأنها خانته وسحقت عرضه ، وثانياً لأنها صيرته مجرماً يلفظه المجتمع ؛ وهكذا . ويرى النقدة أن كاركو باصدار هـذه القصة الجديدة ينحو فى الـكتابة والتصوير ناحية جديدة ربما كانت فاصلة فى حياته الأدبية

بين السياسة والأدب

فى أنباء سان فرنسيسكو (أمريكا) ان الـكاتب الأمريكى الـكبير أوبتون سنكلير قد اعتزم نهائياً أن يعتزل الحياة السياسية . وسنكلير كاتب اجتماعى كبير ، ولـكنه يخوض غمار السياسة إلى جانب الحزب الراديكالى منـذ عشرين عاماً . وكان قد حاول أخيراً أن يرشح نفسه لمنصب حاكم كاليفورنيا ، ولـكنه فشل فى الانتخاب ؛ وأثر هـذا الفشل فى عواطفه ونفسيته ، فمرض مدى حين ، وما زال مريضاً يستشفى . وقد كان من أثر الصدمة أن عاف الحياة السياسية وقرر أن ينبذها نهائياً

الكتب

كتابا المواقف والمخاطبات

للنفّرى

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتبت فى عدد الرسالة الماضى كلمة عن كتابى محمود بن عبد الجبار النفّرى المعروفين باسم المواقف والمخاطبات ، ونقلت شذرات من الكتاب الأول ، وهو يحوى سبعة وسبعين موقفاً عرف القارئ مثالاً منها فيما قدّمت

واليوم أنقل شذرات من الكتاب الثانى كتاب المخاطبات وهو يحوى ستا وخمسين مخاطبة على أسلوب قريب من أسلوب المواقف ، وعسى أن أفرغ قريباً لبحث مفصل عن الكتاب ، ما استبان من معانيه وما غمض ، وما وقع من تحريف فى سياقه ، وللكلام عما كتب عليه من الشروح . فمثل هذا الكتاب العجيب لا يكتفى فيه بهذه النظرة العجلى :

مخاطبة

يا عبدُ ! قل أعوذ بوحدانية وصفك من كل وصف ، وأعوذ برحمانية برّك من كل عسف

يا عبد ! قل أعوذ بوجهك من كل وجه

يا عبد ! قل أعوذ بقربك من بعدك ، وأعوذ بمدك من مقتك ، وأعوذ بالوجد بك من فقدك

يا عبد ! اجعل ذنبك تحت رجليك ، واجعل حسنتك تحت ذنبك

يا عبد ! من رآنى عرفنى وإلا فلا ، من عرفنى صبر علىّ وإلا فلا

يا عبد ! من صبر عن سواى أبصر نعمتى وإلا فلا

يا عبد ! من أبصر نعمتى شكرنى وإلا فلا

يا عبد ! من شكرنى تعبد لى وإلا فلا

يا عبد ! من تعبّد لى أخلص وإلا فلا ، من أخلص لى قبلته وإلا فلا ، من قبلته كلمته وإلا فلا

يا عبد ! من كلمته سمع منى وإلا فلا ، من سمع منى أجابنى وإلا فلا ، من أجابنى أسرع إلى وإلا فلا ، من أسرع إلى جاورنى وإلا فلا . من جاورنى أجرته وإلا فلا ، من أجرته نصرته وإلا فلا ، من نصرته أعززته وإلا فلا

مخاطبة

يا عبد ! إن عبدى الذى هو عبدى هو اللقّى المُلقى من يدى

يا عبد ! عبدى الذى هو عبدى هو الغضبان لى على نفسه فلا يرضى

يا عبد ! إن عبدى الذى هو عبدى هو المستقرّ فى ذكرى فلا ينسى

يا عبد ! إذا جاءت ترجمتى فانقطع بها عن ملكى وملكوتى ، ثم إذا بدت ترجمتى فانقطع عنها إلىّ تصير التراجم والحروف آلة من آلات معرفتك ، ومركبا من مراكب نطقك

يا عبد ! أقبل علىّ لا من طريق ولا من علم ، تقبل علىّ وأُقبل عليك

يا عبد ! اجأرْ إلىّ بمحامدى فى السراء أدافع عنك بنفسى فى الضراء

يا عبد ! واصل بين طهارتك تواصل بين نعيمك ، إنك إن لم تفصل بين طهارتك لم تفصل بين نعيمك

يا عبد ! إن تعرفنى حتى ترانى أوتى الدنيا أرغدَ وأهنأ ما عرفتَ من الدنيا لعبد عصى ، وأغنى من عرفت من العبيد فترضى بما زويت عنك ، وتعلم أننى زويت اعراضى عنك وزويت حجابى

يا عبد ! ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى أين أنت وأين أهل الدنيا

مخاطبة

يا عبد بنيت لك بيتاً بيدى إن هدمت ما بنيتـه بيدك

يا عبد إذا رأيتنى فلا والد يستجركَ ولا ولد يستعطفك

يا عبد ! إذا رأيتني في الضدين رؤية واحدة فقد اصطفيتك لنفسى

يا عبد ! وَلّني أمرك بطرح أمرك

يا عبد ! الغيبة ألا تراني في شيء ، الرؤية أن تراني في كل شيء !

يا عبد ! اجعل لي يوماً ولك يوماً وابتدئ بيومي يحمل يومك يومي

يا عبد ! اصبر لي يوماً أكفك غلبة الأيام

يا عبد ! إذا لم ترني تخطفك كل ما ترى

يا عبد ! لو ألفت بحزنك بين ما يختلف عليك ، وارتبطت بفرحك ما يلائمك كان مرادي الغالب

مخاطبة

يا عبد ! استغن بي تر فقر كل شيء

يا عبد ! من استغنى بشيء سواي افتقر عما استغنى به

يا عبد ! سواي لا يدوم ، فكيف يدوم به غِنى

يا عبد ! إن أحببت أن تكون عبدي لا عبد سواي ، فاستعذ بي من سواي وإن أتاك برضاي

يا عبد ! رضاي يجعل رضاي سكنا بقلوب العارفين ، سواي يحمل رضاي فتنة لعقول الآخذين

يا عبد ! رضاي وصفي ، وسواي لا وصفي ، فكيف يحمل وصفي لا وصفي ؟

يا عبد ! أنا القيوم بكل ما عُلم وجُهل على ما افترقت به أعيانه واختلفت به أوصافه

يا عبد ! استعذ بي مما تعلم تستعذ بي منك ، واستعذ بي مما لا تعلم تستعذ بي مني

يا عبد ! أين ضعفك في القوة ، وأين فقرك في الغنى ، وأين فناؤك في البقاء ، وأين زوالك في الدوام ؟

عبد الوهاب عزام

رسالة العلم

تلقينا العدد الرابع من السنة الثانية لرسالة العلم ، وهي الصحيفة التي تصدرها جمعية خريجي كلية العلوم بالجامعة المصرية في ١٦٦ صفحة من القطع الكبير . وهذا العدد حافل بالمقالات الممتعة والبحوث القيمة في النبات والحيوان والكيمياء والفزياء والفلك ، مدبجة بأقلام الأساتذة والطلاب على أسلوب واضح وغرض مشوق واستيعاب مفيد . و(رسالة العلم) تحمل طابع العلم من خشونة الجد ، والذهول عن حركة الكلية ، وعن تصوير الحياة الجامعية فيها ، فهي لا تعني بأخبار المحاضرات والمناظرات والرحلات والجمعيات والرياضة ، وحظها من كل ذلك موفور مشكور يستحق التسجيل ويستوجب الاشادة

صحيفة الجامعة المصرية

كذلك تلقينا العدد الأول من السنة الرابعة لهذه المجلة التي يصدرها مجلس اتحاد الجامعة المصرية في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهي تعتبر صورة لألوان الثقافة في كليات الجامعة ، ولكن أثر كلية الآداب فيها غالب ، ولعل هذا العدد بتبويبه وتنويعه وشموله أقرب الى الذوق الصحفي من سوابقه ؛ وقد يكون في بعض فصوله هبوط عن مستوى التفكير الجامعي ، ولكن الآنسة سهير القلماوي رئيسة تحرير الصحيفة تقول في افتتاحها : « والآن تقلبون صحيفتكم فستجدون ثرثرة وجدا ، والطلبة ثرثارون دائماً ، وثرثرتهم حبيبة الى كل نفس وقلب ، والطلبة جادون أحياناً أو كثيراً . ومن ذا الذي لا يستبشر بجد الطلاب ؟ فهذه صحيفتكم دُوّن لكم فيها مختار من ثرثرتكم وكثير من جدكم ، لتكون لكم ذكرى جميلة لأجمل أيام الحياة »

جريدة الوفاق

بمناسبة دخول جريدة الوفاق في عامها الثامن . تصدر هذه الجريدة على عادتها صباح الاثنين الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٣٥ في ثماني صفحات كبيرة مزينة بالصور والألوان ، حافلة بالموضوعات الأدبية الطريفة والمقالات الاجتماعية الممتازة . وقد فتحت أبواباً جديدة تعالج فيها قضية المرأة وتعني بكل ما يهم المتأدب الاطلاع عليه مدبجة بأقلام الكتاب البارعين والأدباء الممتازين
